ظاهرة الانحراف الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية

إشكالية التفسير وآليات المواجهة من المنظور الإسلامي

دراسة في محيط الخدمة الاجتماعية

الدكتور / عبدالله بن سعد الرشود

قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية

كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تمهيـــد :

يجدر بنا بادئ ذي بدء أن نشير إلى حقيقة مهمة أصبحت اليوم -وأكثر من أي وقت مضى- بارزة للعيان لا يستطيع أحد أن يتغافل عنها فضلاً عن أن يماري فيها وهي ما كشفت عنه أحداث ووقائع العقود الماضية ومنذ سقوط الخلافة الإسلامية من فشل التجارب الغربية التي طبقت في مجالات السياسة الاقتصادية والاجتماع والتربية وغيرها من المجالات في المجتمعات العربية والإسلامية، ثبت بما لا يدع مجالاً للشك عجز النظم والترتيبات المجتمعية المستحدثة والمستمدة من الغرب عن أن تقدم للإنسان والمجتمع المسلم ما يشبع احتياجاته على تنوعها أو يمكنه من أن يجد ذاته أو يواجه مشكلاته في شتى جوانب الحياة تلك المشكلات التي تتزايد وتتعقد يوماً بعد يوم بفعل العديد من العوامل والمتغيرات والمستجدات.

وكان طبيعياً أن ينعكس هذا الأمر على وضعية العلوم الاجتماعية والسلوكية وعلى مهن المساعدة الإنسانية -التي تعتمد فيما تعتمد على ما توصلت إليه هذه العلوم من حقائق ونظريات تتعلق بالسلوك الإنساني ومقومات الحياة الاجتماعية- حيث أصبحت هذه العلوم وتلك المهن تواجه إشكالية حادة في المجتمعات الإسلامية لا تخفى على المشتغلين بها والمتخصصين فيها الأمر الذي كان مدعاة لعقد العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية بغية الخروج من هذا المأزق وتفعيل دور هذه العلوم -الذي لا يقل أهمية عن دور العلوم الطبيعية- في مواجهة الأوضاع الراهنة في الأمة الإسلامية وتشخيص هذا الموقف والعوامل والأسباب التي أدت إليه ، غير أن الكثيرين من المشتغلين بهذه العلوم والمهن والذين يقلق بالهم ما آلت إليه في

واقعنا العربي والإسلامي المعاصر أدركوا مؤخراً أن أحد الأسباب الجوهرية لهذه الإشكالية أنما يتمثل في أن هذه العلوم وتلك المهن قد أغفلت أخذ الإسلام في الاعتبار عند دراسة أوضاع المجتمعات الإسلامية وظروفها وما يكتنفها من الظواهر والمشكلات والانحرافات من ناحية ، أو عند تصميم برامج التدخل المهني والعمل الميداني لإشباع احتياجات الناس ومواجهة مشكلاتهم وتنمية قدراتهم وطاقاتهم ورفع مستويات حياتهم من ناحية أخرى، خاصة وأن الإسلام -كما لا يخفى على أحد- يشكل المتغير الجوهري في ثقافة هذه المجتمعات ، أو هو -على حد تعبير بعض الباحثين- العنصر الثقافي الحاكم، أو على الأقل هو من العناصر المؤثرة والفاعلة في الحياة والثقافة في المجتمع المسلم[1]، فلقد أدى الإسلام وما يزال دوراً بارزاً في تحديد الهوية الحضارية لهذا المجتمع بعكس ما عليه الحال في المجتمعات الغربية.

ومن ثم برزت إلى الوجود في السنوات الأخيرة تلك الحركة العلمية المنظمة صوب التوجيه الإسلامي للعلوم الإنسانية والاجتماعية في الأوساط العلمية في العالم الإسلامي تلك الحركة التي تعني في مفهومها العام والبسيط محاولة صياغة منظومة هذه العلوم -وما يرتبط بها ويدور في فلكها من مهن

---

(١) راجع في ذلك كلاً من :

- أحمد يوسف بشير : «سياسة الرعاية الاجتماعية للمسنين بين الفكر الوضعي والتصور الإسلامي»، أعمال المؤتمر الثاني للتوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة، جامعة الأزهر في الفترة من ٧-١٠ أغسطس ١٩٩٣م، ص : ١-٢.
- إبراهيم عبدالرحمن رجب : مداخل التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، أعمال ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة ، ١٠-١٣ أغسطس ١٩٩١م، ص٤٤.

المساعدة الإنسانية - في ضوء المذهبية الإسلامية وما تستند إليه من تصور متميز وفريد - دون غيره من التصورات - للإنسان والحياة والمجتمع والكون باعتبار أن هذه العناصر الأربع تشكل في ارتباطها الوثيق وتفاعلها المستمر وتكاملها المنشود جوهر موضوع ومادة هذه العلوم وتلك المهن .

وفيما يتعلق بالخدمة الاجتماعية كمهنة إنسانية (مجال تخصص الباحث) فلقد قطع هذا الاتجاه شوطاً لا بأس به قياساً إلى عمر هذه الحركة القصير نسبياً ، وفي هذا السياق تأتي الدراسة الحالية والتي تستهدف إلقاء الضوء على ما يمكن أن تسهم به مهنة الخدمة الاجتماعية من المنظور الإسلامي في التعامل مع ظاهرة الانحراف في المجتمعات الإسلامية من خلال مجالات الممارسة المهنية المتعددة التي تعمل في إطارها لتحقيق الأهداف التي تتوخاها وقائياً وعلاجياً وتنموياً .

ولا يخفى على أحد ما طرأ على مجتمعاتنا الإسلامية من تغيرات اجتماعية سريعة ومتلاحقة تناولت شتى مجالات الحياة المختلفة ، وما ترتب على هذه التغيرات من ظروف وأوضاع وظواهر ومشكلات تستوجب الاهتمام من جميع التخصصات العلمية كل في نطاق تخصصه مع ضرورة الحرص على إيجاد التكامل المنشود بين مختلف التخصصات ، والذي تفرضه طبيعة هذه الظواهر والمشكلات في تعقدها وتشابكها ، أن هناك شبه اتفاق بين المتخصصين في العلوم الاجتماعية على أن الظواهر الاجتماعية السيئة التي تطرأ على المجتمع هي نتاج للتغير الاجتماعي والثقافي ، ولقد اختلفوا في تسمية هذه الظواهر باختلاف وجهات نظرهم ومحور اهتمامهم ، فظهرت عدة وجهات نظر في هذا الصدد تتمثل في :

١- النظرية العضوية لهذه الظواهر أطلقت عليها «أمراض اجتماعية» Social Disease

٢- الرؤية البنائية الوظيفية أسمتها «تفككاً اجتماعياً» Social Disorganization

٣- النظرية المعيارية أطلقت عليها «انحراف اجتماعي» عن السواء الذي اعتاده الأفراد Social Deviance(١) .

وإيا كانت التسمية فإن الواقع يعكس اهتماماً متنامياً بظاهرة الانحراف الاجتماعي التي تعد أحد الموضوعات المهمة التي كانت وما زالت تحتل مكان الصدارة في العديد من البحوث والدراسات الاجتماعية والطبيعية القانونية ، مع الأخذ في الاعتبار تعدد أشكال الانحراف الاجتماعي وتباين صوره وألوانه التي تمس غالب جوانب الحياة الإنسانية ، فمن الجرائم بمختلف صورها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية إلى تعاطي المخدرات والمسكرات وما يرتبط به من ظاهرة الإدمان ، إلى انحراف الأحداث إلى السحر والشعوذة والدجل، إلى الانحراف الأخلاقي . . إلى غير ذلك من الصور والأشكال التي تبدو واضحة للعيان في منطقتنا العربية .

ومن هنا تأتي هذه الدراسة التي تحاول إلقاء الضوء على ظاهرة الانحراف الاجتماعي على المجتمعات الإسلامية من منظور إسلامي، وذلك

---

(١) حسين الساعاتي : دور المرأة العربية في وقاية المجتمع من الجريمة والانحراف ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، الرياض ، ١٩٨٥م، ص٢-٦ .

من خلال مجموعة من العناصر التي نرى أنها تشكل جوانب اهتمامنا في هذا الشأن والتي يمكن تصورها على النحو التالي :

أولاً : مفهوم الانحراف الاجتماعي «رؤية إسلامية» .

ثانياً: المنظور الإسلامي وظاهرة الانحراف الاجتماعي .

ثالثاً: أنواع الانحراف في التصور الإسلامي .

رابعاً : الخدمة الاجتماعية وآليات مواجهة ظاهرة الانحراف «رؤية إسلامية» .

وفيما يلي يتناول الباحث كل عنصر من هذه العناصر بشيء من التفصيل على النحو التالي :

أولاً : مفهوم الانحراف الاجتماعي Social Deviance :

تركز أغلب التعريفات لمفهوم الانحراف الاجتماعي على فكرة مخالفة المعايير بوصفها تمثل جوهر الانحراف وخاصة تلك التعريفات الشائعة في الأدبيات الاجتماعية الغربية أو التي تدور في فلكها ، فيرى بعضهم أن «طبيعة الانحرافات تتمثل في خروج أنماط معينة من السلوك على المعايير في مجتمع معين وزمن معين» ، وفي الوقت نفسه يعرف الانحراف أيضاً بأنه : «سلوك يخالف المعايير التي يقدرها الناس إذا اتصفت بالاستمرارية أصبح لها دور سلبي في نظر الناس وأصبح من الضروري أن تهتم بها وسائل الضبط الاجتماعي»[1] .

---

(١) سمير نعيم أحمد : الدراسة العلمية للسلوك الانحرافي، القاهرة ، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٨٥م. ص: ٢٥ .

والمدقق في التراث العلمي لهذا الموضوع يلحظ كما أشرنا إلى أنه وعلى الرغم من تعدد وجهات النظر وتباينها أحياناً حول تعريف الانحراف إلا أنها تكاد تجمع على أن جوهر قضية الانحراف برمتها تتمثل في الخروج على القيم والمعايير الاجتماعية المتعارف عليها ولنأخذ التعريفين السابقين كنموذج لهذه المحاولات ، فالتعريف الأول يشير إلى ألوان السلوك والتصرفات التي تشكل خروجاً على المعايير في مجتمع معين وزمن معين ، وهو يقصد بالطبع المعايير الاجتماعية ، في حين يشير التعريف الآخر إلى ذلك صراحة حين يقرر أنها المعايير التي يقدرها الناس ، وعلى ذلك يصبح الانحراف هنا وطبقاً لهذه التعريفات -وغيرها كثير- قاصراً عن أن يشمل ظاهرة الانحراف في عمومها ، إذ يخرج من الحساب هنا -ووفقاً لهذه التعريفات- الانحراف أو الخروج عن المعايير والقيم الدينية باعتبارها قيما ومعايير فوقية لم يصنعها الناس ولم يتواضعوا عليها ، إذ يرى أصحاب النظرية المعيارية في تفسير التنظيم الاجتماعي أن المعايير المشتركة تنبت من الحياة الاجتماعية ، ذلك أن الأفراد إذ يسعون لتحقيق أهداف مشتركة تحت ظروف حياتية متشابهة فإنهم يكتشفون بعض أنماط الحياة التي يرونها مفيدة أو بعض الحلول الجيدة لمشكلاتهم المشتركة ، ويميلون من ثم لتكرار تلك الأنشطة ويتناقلون هذه الأفكار فيما بينهم مما يؤدي بالتدرج إلى ظهور طرق موحدة للتعامل مع مواقف الحياة الأساس ، ومع الوقت فإن هذه المعايير تنفصل عن المواقف التي نبتت في إطارها ويتم تعميمها لتغطي أنواعاً جديدة من المواقف ، وبهذا تصبح العنصر المحوري لثقافة المجتمع ، أو لتنظيمه وتصبح ملزمة أخلاقياً للآخرين فتحدد الطريقة التي ينبغي أن يسلكوا بها موقفاً معيناً ، ثم إن هذا الالتزام الأخلاقي قد يدعم بفرض عقوبات على المخالفين بقوانين تصدرها

الدولة[1] تطبق على المنحرفين عن هذه القواعد والمعايير الاجتماعية .

وفي السياق نفسه يرى (بدر) أن الانحراف بمعناه البسيط(Deviance) هو : عدم الامتثال للمعايير الاجتماعية وعدم السلوك طبقاً لتوقعات الآخرين ونتائج مثل هذا النوع من الانحراف لا تتعدى عدم رضا المجتمع (الجماعة) على المخالف وتعرضه لبعض العقوبات المعنوية الخفيفة ، في حين أن الانحراف بمعناه الشكلي (Delinquency) يعني مخالفة القانون والنظام والخروج عنه، ومن ثم فالمنحرف هنا يتعرض للعقاب المعنوي أو المادي[2] .

ويؤكد (ميرتون) العلاقة بين السلوك الانحرافي من جهة وبين المشكلات الاجتماعية من جهة أخرى حين يقسّم المشكلات الاجتماعية من الناحية التحليلية المجردة إلى فئتين عريضتين : إحداهما تتمثل في التفكك الاجتماعي Social disorganization ، والأخرى تتمثل في السلوك الانحرافي Deviant behavior ، ويؤكد في الوقت نفسه أن هاتين الفئتين هما في الواقع متشابكتان متفاعلتان تؤدي كل منهما إلى الأخرى بحيث إنك إذا تعرضت لدراسة أي مشكلة واقعية فستجد ما يشير إلى كل منهما ولكن بدرجات متفاوتة[3] .

---

(١) إبراهيم رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، أعمال مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، القاهرة ، جامعة الأزهر ، ١٨-٢٣ أبريل ١٩٩٢م، ص: ٣٤ .

(٢) عبدالمنعم بدر : مشكلاتنا الاجتماعية ، أسس نظرية ونماذج خليجية ، الرياض، ١٩٨٥م، دون دار النشر ، ص: ١٩ .

(3) Merton. R, Nisbet, R, Contemporary Social problems, 4thed, New York, Harcount Brace Horanarich, Inc, . 1976, pp: 799-800

ونخلص من الطرح السابق إلى أن نظرية السلوك الانحرافي تركز على انحراف الفرد عن المعايير الاجتماعية ، وبتعبير آخر فإن تفسير السلوك الانحرافي ومن قبله تحديد مفهوم هذا السلوك الانحرافي يقوم على الافتراض بأن المعايير العامة سليمة ولكن لسبب أو لآخر فإن الأفراد لم تتح لهم التنشئة الاجتماعية الصحيحة التي تضمن التزامهم بتلك المعايير(1) .

والآن إذا انتقلنا إلى تحديد مفهوم «الانحراف» في ضوء التصور الإسلامي الذي تعتمده هذه الدراسة سنجد أن الأمر يختلف عن هذه النظرة الضيقة التي سبق عرضها اختلافاً واضحاً .

ونبدأ أولاً بأن أصل كلمة الانحراف في اللغة العربية يرجع إلى جذور الكلمة هو «حَرَفَ» ويقال : حرف الجبل أي : أعلاه المحدب ، ويقال : فلان على حرف من أمره أي : على ناحية منه ، ومنه قول الله تعالى : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ**﴾ الآية ؛ [الحج : آية ١١] ، (وعلى حرف) -كما جاء في تفسير الجلالين- أي : شك في عبادته ، شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته .

وتحريف الشيء عن موضعه يعني تغييره ، ومنه قوله تعالى : ﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ**﴾ [النساء : آية ٤٦] .

فالانحراف في الرؤية الإسلامية هو ترك الحق والوسطية والاستقامة ، أياً كان موضوع الانحراف أو مجاله أو صورته ، ويقتضي الانحراف منحرفاً عنه ومنحرفاً ، أما المنحرف عنه فهو الصراط المستقيم ، والصراط في لغة

---

(1) إبراهيم رجب : مرجع سبق ذكره ، ص : ٤٤ .

العرب هو : الطريق، والمستقيم هو : الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف، وهو دين الإسلام، وسُمِّي الدين طريقاً، لأنه يؤدي إلى الجنة، فهو طريق إليها.

والصراط المستقيم لا يكون إلا واحداً ؛ لأن الطريق الحق واحد، في حين طرق الباطل متعددة ومتشعبة ، ومن ثم فمن خرج أو انحرف عن طريق الحق وقع في طريق من طرق الضلال ، والصراط المستقيم هو طريق الأمة الوسط : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ .. ﴾ [البقرة: آية ١٤٣] .

وهو الطريق الواقع بين طرفي الإفراط والتفريط، ويتضمن أموراً باطنة في قلب الإنسان وضميره من اعتقادات وإرادات وتوجهات وأموراً ظاهرة من أقوال وأفعال وتصرفات.

وفي الحديث : «ضرب الله تعالى مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سواران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داعٍ يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا. وداع يدعو منه فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه. فالصراط الإسلام، والسواران حدود الله تعالى، والأبراب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله ،والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم»[1] .

---

(١) حديث صحيح . رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ١٨٢ ، وانظر المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، الطبعة الأولى ، وانظر : الحديث رقم ٣٨٨٧ في صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني.

ومما سبق يتبين لنا أن دائرة الانحراف في التصور الإسلامي تختلف عن النظرة الوضعية للانحراف من حيث :

أ- أنها لا تقصر الانحراف على ألوان السلوك المخالفة للمعايير الاجتماعية التي تواضع عليها الناس في مجتمع ما لأن هذه المعايير ذاتها قد تكون فاسدة أو غير صحيحة أو منحرفة وفقاً للرؤية الإسلامية، ومن ثم يصبح الانحراف عنها هو السواء في نظر الإسلام.

ب- أن الانحراف من ثم يكون في الخروج عن قيم الإسلام وتعاليمه ومبادئه وتشريعاته وحدوده.

جـ- أن هذه الدوائر في نظر الإسلام لا تقتصر على السلوك والتصرفات والأفعال فحسب بل تمتد لتشمل الانحراف في الاعتقاد، والتصور، والفكر تماماً مثل الانحراف في المناهج والسلوك والتصرفات والأعمال.

وما دمنا بصدد الحديث عن مفهوم الانحراف من المنظور الإسلامي فمن الملائم التوجيه لبعض المصطلحات ذات الصلة الوثيقة بمفهوم الانحراف وتحديدها من وجهة النظر الإسلامية، ومن هذه المصطلحات :

*** مفهوم الجريمة :**

وهو مأخوذ (لغة) من مادة جرم، وقد أطال ابن منظور في «لسان العرب»[1] والزبيدي في «تاج العروس»[2] توضيح دلالة هذه المادة واشتقاقاتها

---

(١) ابن منظور : «لسان العرب»، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ط٦، ١٩٩٧م، جـ١٤، ص: ٣٥٧-٣٦٣.

(٢) محمد بن سعد الشويعر : الوقاية من الجريمة في التشريع الجنائي الإسلامي، الرياض، دار معاذ للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م، ص: ٨.

«جرم فلان جرماً : أذنب كأجرم واجترم فهو يجرم وجريم ، وجرم لأهله كسب لهم ، يقال : يجرم لأهله ويجرم أهله ، أي : يحتال ويطلب ، وهو جارم : لأهله كاسبهم ، والجرائم جمع جريمة ، وهي الجناية والذنب كيفما كان سواء كان صغيراً أو كبيراً» .

أما من الناحية الاصطلاحية فإن علماء الفقه الإسلامي يعرفون الجريمة باعتبارها شكلاً من أشكال الانحراف بقولهم : «الجرائم محظورات شرعية زجر الله عنها بحد أو تعزير»[١] ، وهو تعريف خاص بالمعاصي التي حدد الشارع عقوبتها وتشمل حد الردة وشرب الخمر والسرقة والزنا والقذف به وحد الحرابة ، أما المعاصي التي عقوبتها التعزير فهي كل معصية لله تعالى أو لرسوله أو مخالفة ما قرره ولاة الأمر مما فيه مصلحة الأمة ولا مخالفة فيها لنص من نصوص الكتاب والسنة أو قاعدة من قواعد الشريعة[٢] ، والحدود زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر به[٣] .

* مفهوم الجناية :

لغة : هي مصدر جنى يجني جناية ، يقال : جنى الذنب عليه يجنيه جناية بكسر الجيم : جره إليه ، وملخص الرأي اللغوي : التعدي على بدن أو مال أو عرض[٤] واصطلاحاً يعرفها الفقهاء بأنها : اسم لفعل محرم حل بمال أو

---

(١) أبو الحسن علي محمد الماوردي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتاب العربي (ط٢) بيروت، ١٩٩٤م، ص: ٣٦١.

(٢) عبدالله أحمد قادري، سبب الجريمة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، (الطبعة الثانية) جدة، ١٩٨٦م، ص: ٤١-٤٢.

(٣) أبو الحسن علي محمد الماوردي ، مرجع سبق ذكره ، ص٣٦٤.

(٤) محمد بن سعد الشويعر ، الوقاية من الجريمة في التشريع الجنائي الإسلامي، مرجع سبق ذكره ، ص١١.

نفس[1] ، وتأسيساً على ذلك يعرف الانحراف في أنظمة المملكة العربية السعودية بأنه : «ارتكاب فعل نهت الشريعة الإسلامية عن ارتكابه ، أو ترك فعل أوجبت الشريعة الإسلامية القيام به دون أن يكون للفعل أو الترك عذر شرعي معتبر»[2] . وهو تعريف للانحراف من المنظور الإسلامي، ما دامت الشريعة الإسلامية هي الحاكمة لنظم المجتمع السعودي وتشريعاته وقوانينه .

ومن ثم فالشخص المنحرف في المنظور الإسلامي هو الخارج عن منهج الله -عز وجل- وهو دينه الذي ارتضاه للناس جميعاً بما تضمنه من أوامر ونواهي تنظم للناس أمور حياتهم ، وتضمن لهم السعادة والنجاح والرقي والتقدم في الدنيا والفوز والنجاة والفلاح في الآخرة . قال تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة، الآية: ٣] .

ونخلص مما سبق إلى أن الدراسة الراهنة تنظر إلى الجريمة والانحراف على أنه : «عمل غير مقبول في المجتمع وقد وضع له نص عقوبة حيال من يقوم به»[3] .

---

(١) المرجع السابق ، ص١١ .

(٢) عبدالله السدحان، رعاية الأحداث المنحرفين في المملكة العربية السعودية ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤١٧ هـ، ص: ١٥ .

(٣) صالح بن إبراهيم الصنيع، التدين علاج الجريمة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، سلسلة نشر الرسائل الجامعية رقم (١٠) ، ١٤١٤ هـ ، الرياض ، ص: ١٥٠ .

وما دمنا نتحدث عن الانحراف من المنظور الإسلامي فمن الجدير أن نبرز هنا أن هذا العمل :

أ- غير مقبول بالنسبة لإطار القيم والمعايير والمبادئ الإسلامية الحاكمة لحركة المجتمع المسلم .

ب- أن هذا العمل رتب عليه الشارع عقوبة تتمثل في الشريعة الإسلامية فيما يعرف بالحدود أو التعازير .

ثانياً : الرؤية الإسلامية لظاهرة الانحراف :

عرف الانحراف كمشكلة منذ وجدت البشرية والجماعات الإنسانية من خلال صراع هذه الجماعات ومنذ عرف الإنسان قتل أخيه الإنسان (حين قتل قابيل هابيل وهما ابني آدم عليه السلام)، وهو أمر تكاد تجمع عليه جميع الكتابات التي تناولت الجريمة والانحراف. غير أننا نشير -واتساقاً مع ما قدمناه من مفهوم للانحراف في الصفحات السابقة- إلى أن الانحراف بالمعنى الذي نتبناه في هذا البحث إنما يسبق هذه الحادثة ليبدأ في نظرنا منذ أن خالف إبليس أمر الله عز وجل بالسجود لآدم قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة ، الآية رقم ٣٤] . وهو ما يمثل التأصيل الحقيقي لهذه الظاهرة من وجهة النظر الإسلامية . . تلا ذلك مخالفة آدم عليه السلام (بإغواء إبليس أيضاً) وحواء لأمر الله عز وجل الذي يبينه قوله تعالى : ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ**

فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة ، الآية : ٣٥-٣٦] .

إلا أن الله عز وجل تاب على آدم عليه السلام : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة ، الآية : ٣٧] .

وعلى ذلك فالانحراف قديم قدم الإنسانية ذاتها ، فهو ظاهرة اجتماعية قائمة في كل المجتمعات غنيها وفقيرها ، متقدمها ومتخلفها ، كبيرها وصغيرها ، قديمها وحديثها ، ومن ثم فهو ليس ظاهرة شاذة قاصرة على مجتمع بعينه أو زمن بعينه ، وإنما يرتبط شذوذها بمدى تكرار حدوثها والخطر المترتب على الإنسان والمجتمع من خلال النسق الاجتماعي الذي يهدد توازنه واستقراره وأحياناً استمراره .

ولما كان الانحراف كأي ظاهرة اجتماعية يؤثر في وجوده ويؤدي إليه عوامل ومسببات تؤثر في اتجاه وقوة ودرجة الانحراف ذاته ، فقد أشكل على الإنسان -من قبل ومن بعد- أمر هذه العوامل والأسباب فراح يبحث عنها لعله يكشف غموضها ويظهر ما خفي منها .

ولابد من التسليم ابتداء بتعدد هذه العوامل وتشابكها على نحو يجعل البحث فيها والحديث عنها من الأمور العسيرة ، كما يجعل استقصاءها وحصرها وترتيبها بحسب فعاليتها وتأثيرها أمراً أشد عسراً .

كما أنه لا بد من التسليم بأن بحوثاً جادة كثيرة قد تناولت هذه المشكلة وأن هذه البحوث قد نمت وتطورت حتى صارت تعرف في مجال البحث العلمي بأنها نظريات علمية تحاول تفسير ظاهرة الانحراف أو السلوك الانحرافي .

والواقع أن أهمية تفسير أي ظاهرة أو مشكلة أياً كانت إنما تأتي من كون هذا التفسير يقودنا إلى تشخيص المشكلة أو الظاهرة والتعرف على العوامل المسببة لها وطبيعة العلاقة بين هذه العوامل من حيث تداخلها وتشابكها وما يحدث بينها من تفاعلات تؤدي في النهاية إلى حدوث الظاهرة أو المشكلة المعنية ، كما تنبع أهمية التفسير -في الوقت نفسه- من أنه يقود إلى البحث عن أنسب السبل وأنجح الوسائل والأساليب لمواجهة المشكلة والتصدي لها والقضاء عليها ، أو على الأقل التخفيف من حدوثها واختزال آثارها وتداعياتها ، ولا شك أنه كلما كان التفسير سليماً ومستنداً إلى أسس علمية وواقعية ومؤيداً بالشواهد جاءت جهود المواجهة وأساليب التصدي أكثر فاعلية في الحد من المشكلة والقضاء عليها ، والعكس صحيح[1] .

ويلمس الباحث في أدبيات ظاهرة الانحراف والجريمة تعدد المدارس والنظريات التي تفسر الظاهرة ، إلا أنه يمكن القول -دون قدر كبير من التجاوز- : إنها في الغالب الأعم لا تخرج عن اتجاهين أساسين هما :

١- اتجاه يقوم على البحث عن نظرية واحدة عامة تفسر سبب الجريمة أو السلوك الانحرافي وهو الاتجاه الذي نراه واضحاً في مختلف مدارس علم الإجرام كالمدرسة البيولوجية ، والمدرسة الأنثروبولوجية ، والمدرسة الاقتصادية ، والمدرسة الجغرافية ، والمدرسة الاجتماعية ، ومدرسة الطب النفسي ، ومدرسة التحليل النفسي .

---

(١) أحمد يوسف بشير ، عبدالله الرشود : «أبعاد التخطيط التكاملي لمواجهة ظاهرة المخدرات في مجتمعاتنا العربية» ، أعمال المؤتمر الرابع للتأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، كفر الشيخ ، أغسطس ، ١٩٩٧م ، ص : ١٣٢ .

٢- الاتجاه الآخر وهو الذي يركز في البحث على عوامل ومتغيرات متعددة تكون في مجموعها علة الجريمة أو السلوك الانحرافي ، وقد ظهرت بوادر مثل هذا الإتجاه منذ أعلن الإيطالي «أثريكو فيري» وهو من أنصار المدرسة الوضعية الإيطالية التي ترى أن الجريمة والانحراف ماهو إلا محصلة مترابطة من العوامل الطبيعية والأنثروبولوجية والشخصية والاجتماعية وبذلك فقد وضع «فيري» أصول مذهب جديد عرف فيما بعد بمذهب تعدد العوامل أو مذهب تداخل العوامل أو الاتجاه التكاملي في تفسير الانحراف[1] .

ولسنا معنيين هنا باستعراض هذه الاتجاهات وتلك المدارس والنظريات على تعددها واختلافها وتناقضها أحياناً لأن هذا أمر يخرج عن حدود هذه الدراسة ، وإنما نريد التأكيد على أن العديد من النظريات قد انطلقت في بحثها وتقصيها لعوامل السلوك الانحرافي من افتراضات قد لا يصدقها الواقع ، ولا يقرها الشرع ، الأمر الذي ترتب عليه أن جاءت نتائجها مائلة عن الصواب بقدر ميلها عن واقع الحال وعن مقتضيات الشرع الحنيف .

والأمر الذي يحتاج إلى التأمل - كما يشير المشرفي - هو أن كثيراً من العلماء المسلمين من قبل تناولوا قضية السلوك الإنساني بالدراسة ، فحرروا دراسات جادة وأكفاراً نيرة يمكن الاعتماد عليها في مجال البحث العلمي عن عوامل السلوك الإجرامي ، كما أن هناك أمراً آخر يحتاج إلى تأمل أيضاً .

---

(١) عدنان الدوري : «أسباب الجريمة والسلوك الإجرامي» ، الكويت ، دار السلاسل ، ١٩٨٤م، ص ٦٣-٦٧ .

وهو أن الدراسات الحديثة في هذا المجال قد خلت -أو كادت- في معظم الأحيان من التوجه ذي النزعة الإسلامية، واعتمدت على أبحاث ودراسات وضعية هي في أغلب حالاتها مناقضة للمسلمات الشرعية ومخالفة لقواعد الدين الإسلامي، أو أنها -في أفضل حالاتها- خالية من الروح الإسلامية، فهي بمعزل عنها[1]، فجميع هذه النظريات التي حوتها الأدبيات المتاحة لتفسير ظاهرة الانحراف وبلا استثناء هي نظريات غربية، نبتت في التربية الغربية وتأثرت بظروفها وملابساتها فهي نظريات تفسر الإنسان الغربي في لحظة تاريخية معينة، كما أنها -في حقيقة الأمر- حصيلة لنمو هذا الإنسان وتطوره وتشابك عوامل تحوله الحضاري ومن ثم فإن استخلاصاتها الرئيسة يمكن تعميمها فقط على الإنسان الغربي، أما مجتمعاتنا العربية والإسلامية فلها خصوصيتها الفريدة في الحقل المعرفي والوجداني والأخلاقي والثقافي والحضاري، والواقع أن الأمر الذي لا نجده مندوحة من التأكيد عليه هو أن التفسير الإسلامي له فضل السبق على جميع المدارس الوضعية التي تفسر الجريمة والسلوك الانحرافي في تغطية الجوانب المختلفة التي تناولتها هذه المدارس والنظريات كعوامل متفاعلة في إفراز الانحراف والجريمة، غير أن الفكر الإسلامي له منظومته الخاصة في التفسير؛ إذ يوظف كل هذه العوامل وغيرها في مكانها السليم وبشكل تكاملي فريد يعجز الفكر الوضعي الوصول إليها، هذا إلى جانب أن الفكر الإسلامي

---

(١) علي حسن المشرفي: المنهج الإسلامي في تدريس علوم الإجرام، أعمال مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٨-٢٣ أبريل ١٩٩٢م، ص ٧٦٩-٧٧٠.

يقدم عوامل حقيقية وهامة ومؤثرة عن إفراز السلوك الانحرافي ليس في مكنة الفكر الوضعي دراستها من خلال مناهجه الوضعية بحدودها المعروفة والتي لا يمكن تجاوزها[1] ، ومن هنا تبرز الحاجة الملحة للمنظور الإسلامي في تفسير السلوك الانحرافي في مجتمعاتنا العربية والإسلامية ، ونعني به ذلك التفسير الذي يستند إلى الكتاب والسنة ، وأراء الفقهاء من المجتهدين من علماء الإسلام القدامى والمحدثين ، كما يستند إلى المفهوم الشرعي للجريمة والانحراف ، ولعل أهم ما يميز المنظور الإسلامي في تفسيره لظاهرة الانحراف هو -إضافة لما سبق بيانه- اهتمامه بالعوامل الروحية ودورها البارز في هذا الصدد، الأمر الذي يجعل هذ المنظور مختلفاً تماماً عن الاتجاهات والمدارس الوضعية التي اهتمت بالجوانب المادية فقط وأغفلت أهمية ودور العوامل الروحية في حياة الناس، إذ يمكن القول: إن هذه النظريات تكاد تكون قد تطرقت لجميع العوامل التي يمكن أن يكون لها دور ما -كبر أو صغر- في إحداث ظاهرة الانحراف ، إلا أنها وبغير استثناء اجمعت على إخراج البعد الروحي من حسبانها ، ذلك البعد المتمثل في صلة الفرد والمجتمع بالله عز وجل، وهو البعد الحاسم في نظر الإسلام في هذا الصدد .

ووفقاً لهذا التحدد يمكن القول. إن من أهم العوامل وأشدها تأثيراً في السلوك الانحرافي هو فقدان أو ضعف الوازع الديني لدى الأفراد والمجتمعات، والذي يشكل المناعة الحقيقية للمسلم ضد الانحراف بكافة أنواعه .

---

(١) نبيل السمالوطي : «الدراسة العلمية للسلوك الإجرامي» دار الشروق، جدة ١٩٨٣م، ص٢٥ .

والباحث ، يشارك (المشرفي) في دعوته لإجراء دراسات جادة لعوامل السلوك الانحرافي على ضوء مبادئ الشريعة الإسلامية وقواعد أحكامها وأصول مناهجها ، وعلى ضوء التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة وذلك للعديد من الأسباب نذكر منها :

١- أن المنهج الإسلامي قد جعل قضية السلوك من أشد القضايا أهمية إذ إنها محور نشاطه وميدان عمله حتى لكأن ذلك هو الدين كله أو الإسلام كله ، فلقد جاء في الحديث : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» رواه البخاري ومسلم(١) .

٢- أن التوجهات الجادة نحو العودة إلى قواعد الإسلام وأحكامه قد جعلت الاهتمام عظيماً بتلمس منهج الإسلام في كل أمر من أمور الحياة ومن أعظم تلك الأمور السلوك الإجرامي وعوامل وقوعه .

٣- وأخيراً فإن المنهج الإسلامي يقدم معالجة صحيحة لمشكلة السلوك الإجرامي بحيث يمكن بناء نظرية متكاملة لحل المشكلة في ضوء هذا المنهج .

كل ذلك قد جعل الحاجة ملحة والاهتمام شديداً في بيان خطة المنهج الإسلامي في الكشف عن عوامل السلوك الانحرافي ، وفي برنامجه للقضاء على هذا السلوك ووقاية الفرد والمجتمع من شروره وتداعياته وآثاره ولعل ما

---

(١) صحيح البخاري ١/ ١٣ برقم ١٠ ، انظر : صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ودار اليمامة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م . وصحيح مسلم ١/ ٦٥ برقم ٤١ . انظر صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

يبشر بالخير ما ظهر في السنوات الأخيرة من اهتمام واضح من قبل الباحثين والمتخصصين في العديد من فروع العلم والمعرفة ، حيث ظهر العديد من البحوث والدراسات والمؤلفات التي تنطلق من التصور الإسلامي في معالجتها لظاهرة الجريمة والانحراف[1] ، فيحدد (إبراهيم رجب) ثلاث مسلمات أساسية يرى أن التصور الإسلامي لتفسير المشكلات الفردية والاجتماعية يقوم عليها (ومن بينها بطبيعة الحال مشكلة الانحراف الاجتماعي) هي :

١- انقطاع أو ضعف صلة الإنسان بالله عز وجل ، ويعد في ذاته سبباً كافياً وحده للوقوع في المشكلات مفضياً إلى السلوك الانحرافي .

٢- القصور في إشباع الحاجات الدنيوية (المادية والنفسية والاجتماعية) سبب أساس ، ولكنه ليس كافياً وحده للوقوع في المشكلات وذلك ؛ لأن هذا القصور إذا صاحبه حسن الصلة بالله تعالى فإن المشكلات التي يواجهها الفرد أو المجتمع تكون أقل حدة .

---

(١) نذكر على سبيل المثال -من هذه الجهود- :

- محمد شحاته ربيع (وآخرون) : علم النفس الجنائي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٥م.
- صالح إبراهيم الصنيع : التدين . علاج الجريمة ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٩٩٣م.
- نبيل السمالوطي ، مرجع سبق ذكره .
- صلاح عبدالمتعال : مستقبل التنمية -نحو بديل حضاري إسلامي ، دار الشرق الأوسط للنشر ، القاهرة ، ١٩٩١م.
- علي حسن المشرفي : مرجع سبق ذكره .

٣- التغير الاجتماعي السريع وما يؤدي إليه من تفكك اجتماعي سبب أساس في حدوث المشكلات الاجتماعية في كل المجتمعات، ولكن درجة حدة المشكلات ودرجة انتشارها تكون أقل كثيراً في حالة المجتمعات التي تهيمن فيها القيم المستمدة من الإسلام والتي تبرز مؤسساتها ونظمها الاجتماعية تلك القيم فيحتفظ فيها الناس بسلامة فطرتهم[١].

وبالنسبة للمسلمة الأخيرة فإن الكاتب يشير إلى أهمية التكامل الاجتماعي وأثره في استجابة المجتمع السريعة والفعالة للتغيرات الوافدة من الخارج هذا التكامل والتساند الذي يعد من أهم القيم التي يحث عليها الإسلام والتي تقي المجتمع من التفكك والوقوع في المشكلات، أما التغيرات النابعة من داخل المجتمع فإنها تكون موجهة منذ البداية بتوجيهات الإطار القيمي الإسلامي -وذلك بالنسبة للمجتمع الإسلامي الملتزم بالمبادئ الإسلامية مثل: الأخوة والعدل والإيثار- فيحد هذا كثيراً من الآثار السلبية للتغير، أما المجتمعات التي ينظر فيها كل فرد وكل مؤسسة وكل نظام اجتماعي لنفسه على أنه وحدة ذات استقلال وترى أن حقها أن تحدث التغيرات التي تراها محققة لمصلحتها الذاتية مع اكتراث قليل بما يترتب على ذلك من نتائج سلبية على المجتمع فلا شك أن هذه المجتمعات

---

(١) إبراهيم عبدالرحمن رجب: التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص ٤٦-٥١.

سواء أكانت إسلامية أم لا سوف تتفاقم بها المشكلات الاجتماعية وأنواع الانحرافات[1] .

وفي محاولة أخرى لتقصي عوامل الانحراف في ضوء التصور الإسلامي يقرر (ربيع وآخرون) أن هذه العوامل يمكن أن تنقسم إلى[2] :

١- عوامل ذاتية ، وتتضمن :

- الانحراف عن الفطرة .
- اتباع الشيطان .
- اتباع هوى النفس .
- ضعف الإيمان .

٢- عوامل اجتماعية ، وتشمل :

- الأسرة.
- جماعات الرفقاء .
- عدم تنفيذ المجتمع لأحكام الشريعة .
- إهمال الحسبة في المجتمع .

---

(١) إبراهيم عبدالرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، مرجع سبق ذكره، ص ٤٩-٥١ .

(٢) محمد شحاته ربيع وآخرون : مرجع سبق ذكره ، ص ٥٩١-٦٠٠ .

وفي نفس الاتجاه يشير (المشرفي) إلى أن هناك مجموعة من المسلمات المنهجية والمرتكزات الواقعية التي تشكل أصولاً يقوم التفسير الصحيح لعوامل السلوك الإجرامي على أساس هذه الأصول تتمثل في [1] :

الأصل الأول : التأكيد على أن الأصل في الإنسان هو الفطرة السوية، وهو ما يمثل نقطة البداية في دراسة السلوك الإنساني من حيث أسبابه واتجاهاته ، ومن ثم فالإنسان وفقاً لهذا السلوك ينشأ صالحاً ، إذا لم يجد من المؤثرات ما يصرفه عن حالة الصلاح ويترتب على هذا الأصل مجموعة من النتائج فيما يتعلق بالسلوك :

أ- دحض الافتراض القائل بوجود مجرمين أو منحرفين بالميلاد (بالوراثة).

ب- أن من الأهمية بمكان توجيه السياسات الاجتماعية في المجتمع إلى الحفاظ على هذا الأصل في الإنسان والعمل على إبعاده عن العوامل التي قد تفسده وهو يتفق في ذلك مع ما يشير إليه (رجب) من أن الهدف الأول لسلوك الفرد والمهمة الأولى للمجتمع المسلم هو الحفاظ بكل وسيلة ممكنة على صفاء الروح ونقاء الفطرة التي فطر الله الناس عليها[2] .

جـ- أن ذلك يؤكد أن الإصلاح والتقويم هو أمر ممكن.

---

(١) علي حسن المشرفي : مرجع سبق ذكره ، ص ٧٧٧-٧٧٩.

(٢) إبراهيم عبدالرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص٣٧.

الأصل الثاني : التأكيد على غريزة حب الذات ثم توظيفها ، فالإنسان جبل على حب الذات ومن ثم الميل الشديد نحو الإشباع المفرط لمطالب الذات، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: الآية ٨] وهذه الغريزة من الناحية الواقعية ذات وجهين : أحدهما نافع والآخر ضار ، فأما النافع فهو أنها قوام الحركة والتأثير وأداة الإعمار والاستخلاف في الأرض، وأما الوجه الضار فهو أنها قد تجر إلى الطغيان والظلم، فتكون عاملاً من عوامل الصراع والنزاع بين أفراد المجتمع الإنساني .

ولذلك جاءت التعاليم الإسلامية بما يضمن التوظيف السليم والصحيح والإيجابي لغريزة حب الذات بما ينفع الفرد والمجتمع على حد سواء، فمنع التبتل والانقطاع ورغب في العمل والكسب وحض عليه ، ولكنه من جهة أخرى كف الضرر الذي قد يجر إليه الجانب الآخر من تلك الغريزة، وذلك عن طريق ربط الدنيا بالآخرة في حس المؤمن، فوسع بذلك ميدان الإشباع الأمثل لغريزة حب الذات .

الأصل الثالث: الاستعداد للتأثر ، إذ إن الطبع البشري يضم استعدادين ينزع كل منهما بالإنسان إلى إتجاه يضاد الآخر ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس: الآية ٧،٨] .

ويرى (الصنيع) في دراسة عن التدين وعلاقته بالجريمة أن العامل الأساس في ظاهرة الجريمة الانحراف هو ضعف الوازع الديني سواء لدى الفرد أو المجتمع، ويرى أن من أهم أسباب ذلك (يعود إلى عدد من العوامل):

١- عوامل تعود إلى الفرد ، ومن أهمها في نظر الإسلام :

- انحـراف الفطرة ، ومن وجـوه هذا الانحـراف الكفـر ، الشـرك ، النفاق ، إتباع الشيطان ، البدع والشهوات .

- ضعف الإيمان والتقصير في العبادات مما يضعف صلة الإنسان بالله عز وجل .

- اتباع هوى النفس الأمارة بالسوء ، والسعي لتلبية شهواتها عن طريق المسالك المحرمة والسبل المرفوضة شرعاً .

٢- عوامل تعود إلى البيئة ، ومن أهمها :

- الوسط الاجـتمـاعي ، كـالأسـرة ، الرفـاق والأصـدقـاء والخـلان ، وأخيراً المجتمع ككل .

- تبـديل أحكام الله بغيـرها في شـؤون الحياة كـافة سـواء في الحكم أو السياسة أو في الحياة الاجتماعية والتعليم والثقافة والاقتصاد والإعلام والفنون والفكر وغيرها .

- عدم إقامة العقوبات والحدود الشرعية وتطبيقها كما يقضي الشرع .

- إهمـال الحسبـة في المجتمع وجوهرها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١] .

وتأسيساً على ما سبق يمكن القول : إن قضية الانحراف الاجتماعي في مجتمعاتنا العربية والإسلاميـة ، والتعامل معها يتطلب ثورة في نظرتنا إلى

---

(١) صالح إبراهيم الصنيع : التدين علاج الجريمة ، مرجع سبق ذكره .

الأمور ، تلك النظرة التي ينبغي أن تتجاوز ما درجنا عليه وألفناه من الاعتماد على ماهو مألوف في الكتابات الغربية والنظريات الحديثة حول هذا الموضوع، لتخرجنا من ضيق الفكر الوضعي إلى سعة أصولنا الاعتقادية والشرعية بما يوفر لنا نظرة شمولية وتكاملية بالمعني الحقيقي للشمول والتكامل، بحيث تجمع هذه النظرة بين الاهتمام بمتطلبات وضروريات البقاء في الحياة (أي ضرورات الحياة) ومتطلبات النجاة والفوز في الآخرة ، وكذلك تكامل النظرة للنظم الاجتماعية المختلفة في المجتمع وشمولها بحيث تربط بين ما تقوم به الأسرة والمدرسة والنادي والمسجد وأجهزة الإعلام برباط وثيق ينبثق من الشعور بالمسؤولية والالتزام أمام الله تعالى، ذلك الشعور المنبثق من مراقبة الله عز وجل والإحساس اليقيني بأن «كل راع مسؤول عن رعيته».

وهكذا ينبغي -كما رأينا- أن ينطلق تفسيرنا لظاهرة الانحراف من نظرة الإسلام الشاملة، وتصوره المتميز للإنسان والحياة والكون والمجتمع فللإسلام نظرته الخاصة للإنسان كخليفة ، وكمخلوق مكرم خلق لأجل غاية سامية، وهي عبادة الله عز وجل وطاعته في كل أمر والانتهاء عن كل ما نهى عنه ؛ ليكون جديراً بالمكانة التي منحها الله له بين مخلوقاته جميعاً .

تلك النظرة وذلك التصور الذي يقوم ضمن -ما يقوم- على مجموعة من المسلمات نوجزها فيما يلي[1] :

---

(١) علي حسين زيدان ، دور الخدمة الاجتماعية في العمل مع المنحرفين ، «من منظور إسلامي» بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، المعهد العالي للفكر الإسلامي ، القاهرة ، ١٠-١٣ أغسطس ١٩٩١م، ص ١٠ .

١- الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

٢- أن الوحي بمصدريه الأساسين (الكتاب والسنة) هو المصدر الأساس لمعلوماتنا اليقينية عن الإنسان والكون والحياة .

٣- استحالة التعارض بين العقل والنقل ، وبين الوحي والحقائق الكونية .

٤- أن الوجود الدنيوي أحد أشكال الوجود الإنساني ، سبقه ويليه أشكال أخرى للوجود ، فسبقه عالم الذر ويليه عالم البرزخ والدار الآخرة .

٥- الإنسان حر الاختيار محاسب على اختياره الإرادي ومسؤول عنه .

وبعد : فإن كاتب هذه السطور ليعبر عن قناعته الكاملة بأن معضلة تفسير ظاهرة الانحراف والجريمة التي ألمحنا إلى طرف منها فيما سبق ليكمن سببها الأساس في أن جل النظريات الحديثة التي تحاول تفسير هذه الظاهرة كان من الممكن أن تصل إلى هدفها المنشود ، وغايتها المرجوة لولا أنها أغفلت بعداً مهماً وجوهرياً في هذا الصدد، وهو البعد المتعلق بالنظر إلى الوحي بوصفه مصدراً مهماً من مصادر المعرفة فيما يتعلق بالظواهر الاجتماعية والإنسانية، كما أن البعد الروحي والمتعلق بصلة الإنسان بربه وخالقه ومعبوده ونوعية هذه الصلة ودرجتها من القوة والضعف لجديرة -كما تبين- أن تؤخذ في الاعتبار عند التصدي بالبحث والدراسة للتعرف على العوامل المسببة للانحراف ، وعند التفكير في آليات مواجهة هذه الظاهرة وخاصة في مجتمعاتنا العربية الإسلامية .

إن الانحراف بمختلف صوره وأشكاله ومظاهره ، عبر عنه القرآن الكريم

بلفظ «الفساد» وذلك في العديد من المواضع، إذ يقول الحق جل وعلا : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم : الآية ٤١] ، ويقول : ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ⑩ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ⑪ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾ [الفجر : الآية ١٠-١٢] .

ويقول في وصف المنافقين : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة ، الآية ٢٠٥] .

ثالثاً : أنواع الانحراف في التصور الإسلامي :

هناك العديد من المحاولات لتصنيف الانحراف من المنظور الإسلامي لكل من كامل إبراهيم مرسي (١٩٨٩م) ، محمد سليم العوا (١٩٧٩م)، محمد أبو زهرة (١٩٧٦م) ، والذي أراه أن تصنيف علي زيدان (١٩٩١م) هو أقرب هذه التصنيفات إلى وجهة النظر التي يتبناها البحث الراهن ويمكن عرض أنواع الانحراف من المنظور الإسلامي وفقاً لهذا التصنيف على النحو التالي :

أ- انحراف في علاقة الإنسان بالله :

حقيقة علاقة الإنسان بالله كما يريدها الله سبحانه، وكما تتبين في منهجه الذي أرسل به رسله لهداية الناس إلى الحق هي علاقة العبد بسيده ، وليس للعبد تجاه سيده إلا الطاعة في كل ما يأمره به وينهاه عنه من اعتقادات وأقوال، هذا ويشوب علاقة الإنسان بالله تعالى نوعان من الانحراف هما :

- انحراف العقيدة :

السواء في العقيدة هو التوحيد وذلك بأن يعلم الإنسان ويعتقد ويشهد

بأن الله واحد لا شريك له ، ليس كمثله شيء ، لا إله غيره ولا يعجزه شيء، لا يفني ولا يبيد وأنه هو الخالق والرازق والعالم لا يخفى عليه شيء ، ولا يعبد إلا إياه مخلصاً له الدين بلا ند ولا شريك، ولا ينسب إليه إلا ما أخبر به سبحانه عن نفسه[1] ، وانحراف العقيدة هو ما خرج عن التوحيد، ومنها الكفر وهو إنكار وجود الله سبحانه مثل ما تتبناه بعض الفلسفات المادية الملحدة التي ترى أن المادة هي أصل الكون دون موجد أو خالق ، والشرك وهو اعتقاد الإنسان بوجود شريك لله سبحانه وتعالى في خلقه .

- انحراف العبادة :

لا يعبد الله سبحانه إلا بما شرع فهو سبحانه الذي يحدد كيف يعبد ، وعلى هذا فالانحراف في العبادات هو قصد غير الله سبحانه بالعبادة مثل عبدة الأصنام والنجوم أو النار أو غير ذلك من المخلوقات ، أو عبادته سبحانه بغير ما شرع ، وذلك بابتداع أشياء في العبادات لم يأمر الله سبحانه بها أو التبديل فيها أو ترك عبادات أمر الله سبحانه بها فقد حدد الله سبحانه وتعالى ما يجب أن يعبد به ووضع لنا رسوله القواعد التطبيقية لكل من هذه العبادات التي تيسر لنا هذا الاتباع .

ب- انحراف في علاقة الإنسان بالإنسان :

الأصل في علاقة الإنسان بالإنسان هي التعارف والتواد والتراحم، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سئل : أي الإسلام خير؟

(١) أبو جعفر الطحاوي : متن العقيدة الطحاوية ، الرياض، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ،د.ت، ص٣، ٤ .

«تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[1] وحث على التواد والتراحم: «من لا يرحم لا يُرحم» وإذا لم يتمكن الإنسان من فعل الخير فلا أقل من كف أذاه عن الناس فلا ضرر ولا ضرار . والانحراف في علاقة الإنسان بالإنسان هو إتيان الإنسان لما حرمه الله عليه في حق أخيه الإنسان فكل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه ، كما أن سبابه واغتيابه وهجره ، والسخرية منه مما حرمه الله ، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه (أي أذاه) ، ولذلك سن الله سبحانه الحدود لعقاب من يعتدي على حرمات الناس، فجعل القصاص جزاء للقتل المتعمد، وجعل الجروح قصاص ، فالعين بالعين والسن بالسن ، وجعل قطع اليد عقوبة السارق، والرجم عقوبة الزاني المحصن ، والجلد والتغريب عقوبة الزاني غير المحصن، والقتل والصلب جزاء الحرابة ، والجلد عقوبة رمي المحصنات بالسوء، فهذه كلها خروج عن حدود الله وانحراف عنها .

جـ- انحراف في علاقة الإنسان بسائر خلق الله :

فقد سخر الله للإنسان أجناساً عديدة من الخلق من حيوان ونبات وجماد وجعلها في خدمته تمده بما يحتاج إليه من مأكل ومشرب وملبس ومأوى وأمره أن يستخدمها في طاعة الله وأن يشكر الله على نعمه وأن يرعى الله فيها ، وفي ذلك يروي عن رسول الله أنه قال : «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه

---

(١) أخرجه البخاري عن عبدالله بن عمرو . صحيح البخاري ١/ ١٣ برقم ١٢ . انظر : صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ودار اليمامة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

العطش ، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له ، قالوا : يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً ؟ فقال : في كل ذات كبد رطبة أجر»[1] .

والانحراف في علاقة الإنسان بخلق الله من الحيوانات يتضمن التقصير في رعايتها وإطعامها وسقيها وتحميلها ما لا تطيق ، وفي الأثر أن امرأة دخلت النار بسبب هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض ، أما النباتات فالانحراف يتضمن إتلافها دون حاجة والسفه والتبذير في استخدامها ، ومنعها عمن يحتاج إليها فإذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها ، والناس شركاء في ثلاث : الماء ، والكلا ، والنار ، وأما الجمادات فالانحراف في استخدامها يتضمن السفه والتبذير ومنعها عمن يحتاج إليها واستخدامها في معصية الله ، ولعل هذا يفسر لنا كثيراً من الأضرار والمشكلات التي ألحقها الإنسان بالبيئة نتيجة غفلته عن هذا البعد الإسلامي في علاقته بسائر الموجودات في المجتمع .

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة . صحيح البخاري ٥/ ٢٢٣٨ برقم ٥٦٦٣ .

وفيما يتعلق بمدى ظهور الانحراف في المجتمع يمكن أن نجد الانحرافات التالية :

١- الانحرافات الظاهرة :

وهي أنماط السلوك الظاهر التي يمكن للآخرين أن يدركوها بحواسهم وأن يكونوا شهوداً عليها ويمكن إثباتها وإقامة الدليل عليها وتنقسم بدورها إلى قسمين هما :

- انحراف اللسان :

فكل كلام الإنسان محسوب عليه ومحاسب عليه أيضاً والسواء في هذا ألا يتكلم الإنسان إلا بخير وأن يصمت عما سوى ذلك من اللغو وهو الكلام في سفاسف الأمور وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت. . . »[١] . فلسان المؤمن لا يسبق عقله ولا يسبق تفكيره فإذا هم بالكلام وجب عليه تدبره وتحري نتائجه فإن كان خيراً أمضاه وإلا صمت . وانحرافات اللسان عظيمة الخطر فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها ، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب» [٢] ، ويؤدي عدم حفظ الإنسان لسانه إلى كبه على وجهه في النار . وانحرافات اللسان عديدة نذكر منها :

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة، صحيح البخاري ٥/ ٢٢٤٠ برقم ٥٦٧٢ ، ٥/ ٢٢٧٣ برقم ٥٧٨٥ .

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة . صحيح البخاري ٥/ ٢٣٧٧، برقم ٦١١٢ .

- **الغيبة :**

وهي أن يذكر الإنسان إنساناً آخر بما يكره سواء بنقص في بدنه أو خلقه أو فعله أو دينه أو دنياه ، أو حتى في ثوبه وداره، وهي ثلاث درجات أخفها الغيبة وهي ذكرك أخاك بما تعرفه عنه بنفسك من عيوب ، ثم الإفك وهو ذكر ما بلغك عنه من عيوب لم تعرفها عنه بنفسك، ولكن تنقلها عن غيرك، وأشدها البهتان وهو ذكره بعيوب ونقائض تنسبها إليه وأنت تعلم أنها ليست فيه ، وقد تكون الغيبة بالقول الصريح أو بالإشارة .

- **النميمة :**

وهي كشف الإنسان لما سمعه من شخص لآخر مما يكره لهذا الآخر سواء كره هذا الشخص القائل أو المقول في حقه مثل أن يقول الشخص لآخر : فلان قال فيك كذا وكذا .

- **الكذب في القول والوعد واليمين :**

والكذب في القول هو اختلاق أشياء لم تحدث وروايتها على أنها قد حدثت أو رواية ما حدث على غير التي حدث بها ، والسواء في هذا ألا يقول الإنسان إلا الحق . والوعد الكاذب هو إعلان الإنسان عن التزامه بشيء معين في المستقبل مع نيته عدم الوفاء دون عذر، فإذا وعد الإنسان فلا بد من الوفاء بوعده إلا أن يحول بينه وبين الوفاء عذر قاهر . أما السواء في هذا ألا يعد الإنسان إلا بما تطمئن إليه نفسه وأن يربط وفاءه بالوعد بمشيئة الله (وهو ما يعرف بالاستثناء) وأن يبذل كل ما في وسعه للوفاء بالوعد وأن يشرح عذره لمن وعد إذا حال دون الوفاء بوعده حائل ، واليمين الكاذبة يطلق عليها أحياناً اليمين الغموس؛ لأنها تغمس صاحبها في النار : وهو أن يقسم الإنسان على

أمر وهو يعلم أنه على غير ما أقسم متعمداً الكذب في اليمين .

- **اللعن والسب والفحش في القول :**

واللعن هو الطرد من رحمة الله وذلك بأن ينسب الإنسان اللعن إلى آخر كأن يقول : لعن الله فلاناً ، أو فلان هذا ملعون ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لعن أي شيء حتى الحيوانات والجمادات : «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان»[١] . والسب هو نسبة الصفات القبيحة من شخص إلى آخر ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السب بقوله : «المتسابان شيطانان يتعاويان ويتهارجان»[٢] ، والفحش في القول : هو التعبير عن الأمور المستقبحة التي يستحي منها بألفاظ وعبارات صريحة ، والسواء في هذا أن يعبر عنها بالكناية ، مثل : التعبير عن التبول والتبرز بقضاء الحاجة ، وفي النهي عن ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش»[٣] ، كما توجد أنواع أخرى من انحرافات اللسان لا يسمح المجال بعرضها تفصيلاً مثل : المراء والجدال ، وذلك بالاعتراض على كلام الغير بإظهار ما فيه من عيوب تزكية للنفس وتحقيراً للغير والتقعر في الكلام وتكلف الفصاحة وخوض الإنسان فيما لا يعنيه[٤] .

---

(١) أخرجه الترمذي عن ابن عمر ، صحيح ابن حبان ١/ ٤٢١ برقم ١٩٢ .

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود عن عياض ، مسند أحمد ٤/ ١٦٢ برقم ١٧٥١٨ .

(٣) أخرجه النسائي والحاكم عن عبدالله بن عمرو ، صحيح ابن حبان ١١/ ٥٨٠ برقم ٥١٧٧ .

(٤) أبو حامد الغزالي ، مرجع سبق ذكره ، الجزء الثالث ، ٤٣٩-٤٤٠ .

- انحرافات الجوارح :

جوارح الإنسان وحواسه جميعها شأنها شأن سائر النعم التي أنعم الله بها على الإنسان في الدنيا مثل : المال والجاه والعلم وغيرها يمكن أن تستخدم في طاعة الله، ويمكن أن تستخدم في معصيته ، والسواء في استخدام الجوارح أن تستخدم فيما هو مباح فالعين لا تنظر إلا إلى ما أحل لها لنظر إليه، واليد لا تمتد إلا إلى ما أحل الله لها من مال، ولا تمتد إلى الآخرين إلا بالخير، والقدم لا تسعى إلا في الخير والأذن لا تسمع إلا ما هو مباح، فلا تتجسس ولا تتلصص ، وانحرافات الجوارح عديدة، وتشتمل على كل الانحرافات التي تجرمها القوانين الوضعية على اختلافها مثل : القتل والزنى والسرقة وإتلاف ممتلكات الغير . . إلخ ، بالإضافة إلى أنواع أخرى من الانحرافات التي حرمها الله مثل شرب الخمر والربا والنظر إلى ما لا يحل للإنسان أن ينظر إليه .

٢- الانحرافات الباطنة :

وهي أنواع من الانحرافات التي لا يمكن مشاهدتها بصورة مباشرة مثل الانحرافات الظاهرة ، ولا يمكن إثباتها إلا بإقرار ممن يعاني منها، فهو الذي يستطيع أن يعلم عن وجودها وأن يصفها وغالباً ما تكون مقدمة للانحرافات الظاهرة، وهي عبارة عن خواطر شر تجمع بين أفكار ومشاعر منحرفة تلح على النفس وتعاودها بين الحين والآخر، فإذا انساق الإنسان وراءها استقرت في نفسه ، وتخلق بها، وأصبح لها تأثير على سلوكه الظاهر ، وإن قاومها ذهبت عنه وهذا النوع من الانحرافات ينفرد بها التصور الإسلامي عن غيره من التصورات الوضعية. ومن أهمها ما يلي :

- الكـبر :

وهو ظن الإنسان في نفسه أنه خير من الآخرين، فيعظم نفسه ويحقر غيره وللكبر أنواع متعددة ، فهناك من يتكبر بعلمه ، وهناك من يتكبر بماله ، وهناك من يتكبر بسلطانه ونفوذه . . إلخ ، وإذا استقر الكبر في النفس وتخلقت به ظهرت آثاره على سلوك صاحبه في التكبر حيث يتحول من مجرد ظن في نفس صاحبه إلى سلوك يمارسه تجاه الآخرين فيضع نفسه في مكان أعلى منهم. ويعمد إلى تحقير آرائهم والترفع عن مجالستهم وازدرائهم وإقصائهم عن نفسه والأنفة من مساواتهم ، وقد كان الكبر سبباً في إقصاء إبليس من رحمة الله لما ظنه من تفوق عنصره- وهو النار- على عنصر آدم- وهو الطين فرفض السجود له لما أمر الله بذلك .

- الحسد :

هو كراهية الإنسان لنعم الله التي أنعم الله بها على الآخرين وتمني زوالها عنهم دون أن يضره وجود هذه النعم لديهم ، وفي بيان هذا المعنى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن لنعم الله أعداء» فقيل : ومن هم؟ قال : «الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله»[1] ، فالحسد سخط على قضاء الله سبحانه في إنعامه على المحسود ، وإذا انساق الإنسان وراء الحسد قاده إلى البغي، وذلك يخرج عن حدود تمنى زوال النعمة إلى

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس، انظر : المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار، للحافظ أبي الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي، مكتبة طبرية ، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، الجزء الثاني، ص ٨٦٤، حديث رقم ٣١٧٦ .

العمل على أزالتها بالفعل، فقد يدفع الحسد إلى إيذاء المحسود بمختلف الوسائل وذمه وبيان مساوئه، وأوضح مثال على ذلك ما ورد في القرآن الكريم في سورة يوسف إذ دفع حسد إخوته على ما يرونه من تقريب أبيه له إلى التخلص منه بإلقائه في البئر وادعائهم أن الذئب قد أكله[1] . وقد نهى الله سبحانه عن الحسد وأمر بالتعوذ من شر الحاسد كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسد فقال: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[2] .

- سوء الظن :

هو اتهام لا دليل عليه ينسب السوء إلى من لا ينسب السوء إليهم عادة، فهو يرميهم بما ليس فيهم من صفات سيئة، أو ينسب إليهم ما لم يرتكبوه من أفعال ذميمة، ومن ذلك الظن بالله سبحانه وعدم الرضا بقضائه وعدم القناعة بما قسم الله له من مال وولد، وسوء الظن بالناس بنسبة العيوب والنقائص إليهم بينه وبين نفسه، والشك في نواياهم وتوقع الشر منهم، وفي النهي عن سوء الظن يقول الله سبحانه: ﴿ **وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا** ﴾ [الفتح : الآية ١٢] .

---

(١) أبو حامد الغزالي : مرجع سبق ذكره ، الجزء الثالث ، ص١٥٠ ، ١٥١ .

(٢) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة ، سنن ابن ماجه ٢/١٤٠٨ برقم ٤٢١٠، انظر : المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار، للحافظ أبي الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي، الجزء الثاني، ص٨٦٢، حديث رقم ٣١٦٦ .

- **الرياء :**

هو طلب المنزلة في قلوب الناس بأن يريهم الإنسان صفات الخير من نفسه على غير الحقيقة ، والرياء نوع من الشرك بالله ، فالله سبحانه هو مقصود المؤمن في عباداته ، فإذا عظم الناس في قلب الإنسان ورغب في الحصول على منزلة رفيعة في نفوسهم أشركهم مع ربه في قصده من العبادة ، فحرص على الصلاة والصيام والصدقة أمامهم ولو كان بمفرده ما فعل .

والرياء أنواع ودرجات متعددة ، فهناك رياء في أصل الدين يظهر الإنسان الإيمان وهو يبطن الكفر ، والرياء في العبادات ، والرياء في الطاعات وقد قال الله سبحانه في المرائين : ﴿ **يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [النساء : الآية ١٤٢] .

وتوجد أنواع أخرى من الانحرافات الباطنة التي لا يتسع المجال لتناولها بالتفصيل ونكتفي بإشارة سريعة إليها ، منها : الانسياق في اتباع الهوى ، والمبالغة في الغضب ، والعجب ، واليأس ، والطيرة ، والجزع ، والطمع ، والبخل(١) .

وطبقاً لتوقيت العقوبة ينقسم الانحراف قسمين هما :

أ- انحرافات لها عقوبة دنيوية :

على الرغم من أن الدنيا مزرعة للآخرة وأن كل أعمال الإنسان مسجلة عليه ، ويجزي بها يوم القيامة ، إلا أن الله سبحانه عجل العقوبة على بعض

---

(١) كمال إبراهيم موسى ، علاقة الانحرافات النفسية الباطنة بالصحة النفسية والجسمية ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامي لعلم النفس الحديث ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٨٩م ، ص٧.

أنواع الانحراف لأهداف متعددة منها الزجر عن الانحراف؛ لأن تأجيل العقوبة قد يغري بالجرأة على ارتكاب الانحراف، ولتطهير المنحرف؛ لأن عقوبة الدنيا مهما كانت شدتها أخف من عقوبة الآخرة، وحتى تهدأ نفس الضحية، فلا يسعى للقصاص لنفسه بنفسه، وتنقسم الانحرافات ذات العقوبة الدنيوية إلى [1] :

- انحرافات (جرائم) الحدود :

هي الانحرافات التي تمثل اعتداء على حدود الله ومحارمه كما وردت في القرآن والسنة، وقد حدد الإسلام هذه الانحرافات على سبيل الحصر كما حدد عقوبة كل منها لا تزيد ولا تنقص، وهي الزنا، والقذف، شرب الخمر، السرقة، الحرابة، الردة، البغي، وقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لكل منها والعقوبة التي توقع على مرتكبها وكيفية تطبيقه، والحد حق لله تعالى فلا يقبل الإسقاط أو العفو في الفرد أو الجماعة، وقد أنب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد الصحابة عندما أراد أن يشفع في امرأة قرشية من بني مخزوم سرقت فأمر صلى الله عليه وسلم بإقامة الحد عليها قائلاً : «أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال : أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»[2] .

---

(١) عبدالقادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنة بالقانون الوضعي، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت، الجزء الأول، ص٧٨-٨٠.

(٢) أخرجه البخاري عن عائشة. صحيح البخاري ٦/ ٢٤٩١ برقم ٦٤٠٦ .

- **انحرافات القصاص والدية :**

وهي الانحرافات التي يعاقب على ارتكابها بالاقتصاص منه أو دفع الدية ، كل من القصاص والدية عقوبة محدودة ومعروفة ، وليس لها حد أدنى أو أقصى ، وهي من حقوق الأفراد بمعنى جواز العفو عنها ، وهي القتل العمد وشبه العمد والقتل الخطأ والاعتداء الذي لا يؤدي إلى الموت كالجرح والضرب ، وفي ذلك يقول الله سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ** ﴾ [البقرة ، الآية ١٧٨] .

- **انحرافات التعزير :**

التعزير هو التأديب ، وقد نصت الشريعة الإسلامية على بعض هذه الانحرافات ومنها الربا وخيانة الأمانة والسب والرشوة ، ولم تحدد عقوبة معينة لكل منها كما هو الأمر في النوعين السابقين ولكن يوجد حد أدنى وحد أقصى لجرائم التعزير ، ويترك للقاضي الحكم بالعقوبة التي تقتضيها مصلحة المجتمع وظروف ارتكاب الانحراف ، ومن أمثلتها في السنة النبوية السرقة التي لا توجب الحد ، ومماطلة المدين الموسر ، والشطط في تأديب الزوجة والأبناء[(١)] .

ب- انحرافات عقوباتها في الآخرة :

توجد في الإسلام انحرافات متعددة لم تحدد لها عقوبات دنيوية على

---

(١) محمد سليم العوا ، في أصول النظام الجنائي الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة دار المعارف ، ١٩٧٩م ، ص٢٤١-٢٥٠ .

الرغم من النص على تحريمها، وقد توعد الله من يرتكبها بعقوبات آخروية مثل : الكفر والنفاق والمشي بين الناس بالنميمة، وسوء الظن ، والغيبة ، وأكل الميتة ولحم الخنزير ، والحسد .

ج- انحرافات عقوباتها الإلهية في الدنيا والآخرة :

هناك انحرافات توجد لها عقوبات في الدنيا والآخرة، ومن أمثلة هذه الانحرافات الإعراض عن ذكر الله سبحانه وتعالى ، حيث توعد الله سبحانه المعرض عن ذكر الله بالمعيشة القاسية في الحياة الدنيا وأن يحشره أعمى في الآخرة، وفي ذلك يقول الله سبحانه : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ** ﴾ [طه : الآية ١٢٤] .

وحسب طبيعة الفعل المنحرف يصنف الفقهاء الانحراف إلى[1] :

أ- انحراف بالإتيان :

وذلك بإتيان فعل منهي عنه مثل : السرقة والزنا والقتل، فالمحرمات محدودة حصراً في القرآن والسنة ولا تحريم إلا بنص، وفي ذلك يقول سبحانه : ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم** ﴾ [الأنعام: الآية ١٥١] .

ب- انحراف بالترك :

وذلك بالامتناع عن أفعال أوجبها الله سبحانه وأمر بإتيانها ، وهذه تنقسم بدورها قسمين ، أولهما : أن الامتناع في حد ذاته معصية مثل :

---

(١) محمد أبو زهرة : الجريمة والعقاب في الفقه الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة دار الفكر العربي، ١٩٧٦ م، الجزء الأول ، ص١٣٣-١٣٥ .

منع الزكـاة وترك الصـلاة وعـدم بر الـوالدين، فكل من هـذه الأفـعـال هو انحراف عن الصراط المستقيم ومعصية لله، أما النوع الآخر فإن الامتناع في حد ذاته لا يشكل معصية، ولكنه يمكن أن يؤدي إلى معصيـة فقد حصل عـمر بن الخطاب من قـوم دية رجل استسقى قـومـاً لم يسقوه، فـمات من العطـش .

أنواع الانحراف طبقاً لاتجاهه :

يحث ديننا الإسـلامي الحنيف على التـوسط والاعـتـدال، وينهي عن التطرف سواء بالإفراط أو التفريط؛ ولذا يمكن تصنيف الانحراف طبقاً لهذا البعد على النحو التالي :

أ- انحراف بالإفراط :

الإفراط هو البعد عن الاعتدال والتوسط في اتجاه المبالغة ، والمبالغة أمر غير مستحب في أي أمر، وقد نهى الإسلام عن الإفراط، وعده انحرافاً شأنه شأن التفريط حتى لو كان في العبادة ، فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يريد أن يقوم الليل ومن يريد أن يعتزل النساء فلا يتزوج ومن يريد أن يصوم الدهر فلا يفطر ، وقال: «صم وافطر ، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزورك عليك حقاً ، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام» (١) .

---

(١) أخرجه البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص. صحيح البخاري ٢/ ٦٩٧ برقم ١٨٧٤ .

ب- انحراف بالتفريط :

ويأتي على النقيض من الإفراط وذلك بالتهاون والتقصير في أداء الإنسان لما أمر الله به ونهى عنه مثل : ترك الصلوات المفروضة والتهاون في الجهاد في سبيل الله وعدم أداء فريضة الحج مع الاستطاعة والتقصير فيما كلف به من أعمال ومسؤوليات .

أنواع الانحراف طبقاً لجسامة المعصية :

يقول الله سبحانه : ﴿ **إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا** ﴾ [النساء : الآية ٣١] .

ويتبين من الآية الكريمة أن ما نهى الإسلام عنه يمكن تصنيفه إلى كبائر وسيئات عادية ، وعلى الرغم من القول المأثور : لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار ، أي أن التوبة والاستغفار يمحوان الذنوب صغيرها وكبيرها ، وأن إصرار الإنسان على معصية ليست من الكبائر يحولها إلى كبيرة ، إلا أننا يمكن أن نصنف الانحراف طبقاً لهذا المعيار إلى :

أ- الكبائر :

ويقصد بها كبائر المعاصي ، ويأتي على رأسها الموبقات السبع ، وهي : «الشرك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[1] ،

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة . صحيح البخاري ٣/ ١٠١٧ برقم ٢٦١٥ .

ويقصر بعض الفقهاء الكبائر على هذه السبع ، ويتوسع بعضهم حتى يصل بها إلى السبعين ، بحيث يعدون كل ما ورد بشأنه إنذار أو وعيد في القرآن والسنة فهو كبيرة ، ولا يتسع المجال لذكرها على سبيل الحصر ، ونكتفي بذكر أمثلة منها كعقوق الوالدين ، منع الزكاة ، الظلم ، الرشوة ، الرياء ، المشي بين الناس بالنميمة ، الكذب في القول واليمين . . . إلخ(١) .

ب- السيئات (اللمم) :

وهي كل السيئات التي لم يرد ذكرها بين الكبائر ، وقد وردت الإشارة إلى أن الصغيرة تتحول إلى كبيرة مع المداوة والإصرار ، إلا أن الصلاة إلى الصلاة، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان ، والحج إلى الحج ، والعمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما من الذنوب إذا اجتنبت الكبائر(٢) .

رابعاً : الخدمة الاجتماعية وآليات مواجهة ظاهرة الانحراف «رؤية إسلامية» :

الخدمة الاجتماعية مهنة إنسانية تسعى إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، والنهوض بالأعباء والمسؤوليات والالتزامات التي أوكل إليها المجتمع مهمة تحقيقها والنهوض بها ، ولعل من أهم هذه الأهداف والالتزامات ما يتصل بإصلاح الخلل في النظم الاجتماعية ، ورعاية أو إعادة

---

(١) للمزيد من التفاصيل راجع شمس الدين الذهبي ، كتاب الكبائر ، القاهرة ، مكتبة دار الفكر ، د، ت .

(٢) علي حسين زيدان ، دور الخدمة الاجتماعية في العمل مع المنحرفين ، «من منظور إسلامي» مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠-٣٨.

تأهيل الأفراد الذين أصيبوا من جراء تلك الأشكال من الاختلال الاجتماعي أو فيما يتصل بصقل وتنمية شخصيات الشباب ، وتنمية ورفع مستويات الحياة في المجتمعات المحلية في الريف والحضر والبدو . . . إلى غير ذلك من صور وأشكال التنمية الاجتماعية . وتحدد بعض الدراسات الحديثة الأهداف الاجتماعية لمهنة الخدمة الاجتماعية والتي توجه الأخصائي الاجتماعي فيما يلي :

١- إثراء قدرات الناس على التصدي للمشكلات والعمل على حلها .

٢- تحقيق الارتباط بين الناس والموارد في المجتمع .

٣- الدعوة إلى تشريع القوانين المطلوبة ووضع البرامج .

٤- إضفاء الطابع الإنساني على المؤسسات التي يتعامل معها الناس إشباعاً لحاجاتهم وخاصة بالنسبة للمظاهر غير الوظيفية في أنشطة تلك المؤسسات وإجراءاتها وأساليبها في العمل مما قد ينعكس بالسالب على العملاء .

٥- الإسهام في صياغة وتنمية السياسة الاجتماعية .

٦- الإسهام في الأساس المعرفي لممارسة الخدمة الاجتماعية من خلال البحث العلمي ونشر المعرفة[1] .

ولقد اتجهت الأنظار والاهتمامات إلى تأصيل المهنة من وجهة النظر الإسلامية منذ فترة وذلك من أجل العمل بشكل جاد على استلهام الأطر

---

(1) J. Brown , Handbook of Social Work practice, Spring Field (111), Charles Tomas, 1992, p: 7.

النظرية والممارسات التطبيقية لهذه المهنة من المنظور الإسلامي وتصوره المحدد للإنسان والكون والمجتمع ، حتى تصبح المهنة أكثر فاعلية في النهوض بتلك الأعباء والمسؤوليات وذلك بطبيعة الحال دون تفريط فيما صح من الأطر والممارسات الحديثة التي لا تتنافى مع التصور الإسلامي .

وتضطلع الخدمة الاجتماعية بمهامها في سبيل تحقيق أهدافها التي سبق الإشارة إليها وأهداف المجتمع من خلال ثلاثة مستويات ترتبط فيما بينها وتتفاعل لتشكل في النهاية وحدة واحدة ذات أبعاد وصور وأشكال متنوعة ، تتمثل تلك المستويات الثلاثة لجهود وإسهامات الخدمة الاجتماعية في :

١- الإسهامات والجهود التي يمكن أن تؤدي إلى منع الوقوع في الانحراف من أجل حماية الإنسان - في شتى صور تواجده في المجتمع فرداً كان أو عضواً في جماعة أو مواطن في مجتمع - من الوقوع في المشكلات والانحرافات . وهو ما يمثل الجانب الوقائي من التدخل المهني للخدمة الاجتماعية .

٢- الإسهامات العلاجية : وذلك من خلال مساعدة أولئك الذين يواجهون مشكلات أو صعوبات في أدائهم لوظائفهم الاجتماعية ، وهو ما يمثل الجانب العلاجي من التدخل المهني .

٣- الجهود التنموية الإنسانية : وذلك من خلال العمل على إتاحة الفرص أمام الناس لاستثمار طاقاتهم وتحقيق ذواتهم إلى أقصى حد ممكن ، وهو ما يمثل الجانب التنموي من التدخل المهني[١] .

---

(١) إبراهيم رجب : التوجه الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، مرجع سبق ذكره ، ص : ٢٤

وإذا كانت ظاهرة الانحراف -كما سبق وأن أشرنا- هي ظاهرة معقدة ومتشابكة العوامل والأسباب ، ومتعددة الأشكال والصور فإن أمر مواجهتها والتعامل معها يتطلب تضافر جهود واهتمامات التخصصات والمهن الإنسانية كافة ، والباحث يعتقد - في هذا الصدد - أن الخدمة الاجتماعية تعد على رأس قائمة التخصصات والعلوم والمهن التي يمكن أن يكون لها دور إيجابي ومؤثر في التعامل مع هذه الظاهرة . إن هذه القناعة لدى الباحث ليس مردها بحال كون الباحث من المتخصصين في الخدمة الاجتماعية ، وإنما تستند هذه القناعة إلى ما تتميز به مهنة الخدمة الاجتماعية من بين جميع مهن المساعدة الإنسانية من طبيعة خاصة :

فهي أولاً تعمل مع الإنسان في جميع صور تواجده في الحياة سواء كان الإنسان فرداً أو عضواً في جماعة أو مواطن في مجتمع محلي ومجتمع أكبر في ذات الوقت ، وهي ثانياً تعمل مع الإنسان في مختلف مراحله العمرية ، فهي تعمل مع الإنسان وهو طفل ، ثم وهو في مرحلة المراهقة ،و الشباب ، والنضج ، وأخيراً في مرحلة الشيخوخة ، وتعمل في ذات الوقت مع الرجل والمرأة على السواء .

وهي ثالثاً تعمل مع الإنسان في حالات السواء واللا سواء في آن واحد ، وهي أخيراً تعمل مع جميع النظم الاجتماعية القائمة في المجتمع على تنوعها ؛ ومن أجل ذلك تعددت طرق ومناهج العمل في الخدمة الاجتماعية ، وتعددت أيضاً مجالات العمل والممارسة حتى أصبحت تغطي جل مجالات الحياة الإنسانية في المجتمع .

كما تتميز مهنة الخدمة الاجتماعية بالنظرة الشمولية للإنسان من ناحية ،

وللظواهر والمشكلات الاجتماعية من ناحية أخرى .

ومن الجوانب ذات الاعتبار في هذا الشأن أن الخدمة الاجتماعية تعمل على صياغة سياسة الرعاية الاجتماعية والتخطيط لتنفيذها فهي بذلك تعد في بعض الأحيان صانعة لسياسة الرعاية الاجتماعية وموجدة لها[١] .

هذا ويصف (فدريكو) الخدمة الاجتماعية بأنها أكثر مهن الرعاية الاجتماعية تعاملاً مع المواطنين بنظرة شمولية تكاملية، إذ إنها تتعامل مع مجال حياة الإنسان كلياً ومحاولة في الوقت نفسه استخدام موارد المجتمع لإشباع احتياجاته[٢]، كما أن الخدمة الاجتماعية تعد بمثابة الضمير الاجتماعي للأمة ، ولذلك فإن نبض هذا الضمير هو الذي يساعد على تدعيم الرعاية الاجتماعية كنظام اجتماعي في المجتمع المعاصر .

وتأسيساً على ما سبق فإن أي تصور مقترح لآليات التعامل مع ظاهرة الانحراف من المنظور الإسلامي ينبغي أن يستند إلى مجموعة من الأسس والمبادئ التي تعد ضرورية في هذا المجال، لعل أهمها :

١- التكامل والشمول، وذلك أن ظاهرة الانحراف الاجتماعي ظاهرة معقدة ، وهي نتاج للعديد من العوامل والأسباب المتفاعلة معاً ، ومن

---

(١) عبدالحليم رضا عبدالعال : الخدمة الاجتماعية المعاصرة ، عمان للخدمات العلمية ، القاهرة ، ١٩٩٠م، ص: ١٦٩ .

(2) Roland C. Federico; The Social Welfare Institution : An introduction, Lexingtion : D.C. Health and Company, third edition, 1980, p: 230.

ثم فالحاجة ماسة إلى آليات حديثة للمواجهة، قوامها التكامل والشمول في التصدي لهذه الظاهرة بجميع صورها وأشكالها وعواملها وأسبابها في الوقت نفسه . كما أن الأخذ بمبدأ التكامل يقتضي التأكيد على ضرورة الربط بين إستراتيجيات التصدي لظاهرة الانحراف وخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية بجميع أبعادها وميادينها والرامية إلى تطوير نوعي في مجتمع كل دولة بحيث تأتي هذه التنمية بصورة متوازنة محدثة تغييراً نوعياً في البنية الاجتماعية والظروف الحياتية متفادية الانعكاسات السلبية المولدة للإجرام والانحراف.

٢- أن المحور الديني والأخلاقي هو الأساس الذي ينبغي أن ترتكز عليه وتنطلق منه أية جهود أو سياسات أو خطط أو تصورات لمواجهة ظاهرة الانحراف في مجتمعاتنا العربية ، ومن ثم ينبغي أن تتأسس هذه الجهود على اعتماد المنظور الإسلامي أساساً للتفسير استناداً إلى الخصوصية الحضارية للمجتمعات العربية الإسلامية ، ومن ثم كمحور رئيس تدور حوله جل أشكال وصور المواجهة والتصدي لما له من تأثير بالغ في هذا الصدد ، إذ يؤدي الدين دوراً مهماً في تقويم النفوس وتهذيبها على الطريق السوي ، وذلك لما يحييه في النفوس من مفاهيم الطاعة والاستقامة والثواب والعقاب والجنة والنار والخير والشر ومراقبة الله تعالى من خلال ممارسة الأعمال والواجبات الدينية[1] .

---

(١) عبدالحليم أحمد السواس : أركان الإسلام وأثرها في معالجة إدمان الأدوية المخدرة ، مجلة الأمن ، تصدر عن الإدارة العامة للعلاقات والتوجيه ، وزارة الداخلية السعودية ، العدد التاسع ، الرياض ، ربيع الأول ١٤١٥هـ، ص: ١٣ .

هذا فضلاً على أن تأكيدنا على البعد الديني كمحور أساس لجهود التصدي لظاهرة الانحراف ينطلق من مجموعة من الحقائق، لعل من أهمها :

أ- ما أكده العديد من العلماء والمتخصصين من أن ضعف الوازع الديني والذات الأخلاقية من شأنه أن يجعل الفرد فريسة للأزمات النفسية والاضطرابات السلوكية التي تؤدي إلى الانحراف.

ب- أن البعد الديني يوفر آلية للضبط الذاتي لدى الفرد (المسلم) بحيث يحرص على أن ينأى بنفسه عن ألوان الانحراف .

جـ- أن للإسلام منهجه المتميز والواقعي في مواجهة ظاهرة الانحراف وتقويم سلوك الإنسان وذلك من خلال :

- الاهتمام بغرس وتنمية الوازع الديني في نفوس الأفراد وإيقاظ ضمائرهم التي تشكل ضوابط داخلية تحكم سلوك المسلم وتضبطه بضوابط الشرع .

- أسلوب الردع والجزاء الذي يقوم عليه النظام الجنائي الإسلامي، وذلك بتوقيع العقوبات المناسبة المتمثلة في الحدود والتعزيرات .

٣- إعطاء أهمية خاصة للسياسات الوقائية في مواجهة ظاهرة الانحراف؛ نظراً لأنها السبيل لتطويق هذه الظاهرة، وذلك من خلال التأثير في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتربوية .

٤- أن الجهود المبذولة حالياً للتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الإنسانية بصفة عامة والخدمة الاجتماعية على وجه الخصوص سيكون لها تأثيرها الإيجابي على تفعيل دور هذه العلوم

والمهن في تحقيق الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، التي من بينها بطبيعة الحال دراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية والتعرف على أسبابها وعواملها ، والبحث عن أنسب السبل والآليات التي تتوخى مواجهتها، ومن بينها ظاهرة الانحراف الاجتماعي .

وفي ضوء ما سبق ، يعرض الباحث لبعض الأفكار والتصورات لما يمكن أن تسهم به الخدمة الاجتماعية في مواجهة ظاهرة الانحراف في المجتمعات العربية والإسلامية كما يتبين في الصفحات التالية .

- إسهامات الخدمة الاجتماعية في مواجهة ظاهرة الانحراف :

سبق أن أشرنا إلى أن الخدمة الاجتماعية تميل إلى استثمار الفرد لقدراته وطاقاته ، بل تتعدى ذلك بإعداد الفرد وتأهيله وتدريبه ، كما أنها تعمل على كشف طبيعة ونمط علاقة الفرد بالبيئة والنظم الاجتماعية القائمة ، مهتمة بدور الفرد داخل البناء الاجتماعي بصفته عنصراً فاعلاً صغيراً في المجتمع . ويرى جرين وود (Green Woods) أن الخدمة الاجتماعية قد وصلت إلى المكانة المهنية، وأصبحت مهنة مستنداً في ذلك إلى أن للخدمة الاجتماعية خمسة مستويات مهنية رئيسة هي :

- معرفة علمية منظمة تعد قاعدة ترتكز عليها عمليات الخدمة الاجتماعية .

- مستوى للأداء لا يصل إليه إلا من تعلم الخدمة الاجتماعية في كلياتها ومعاهدها .

- وجود علاقة بين الخدمة الاجتماعية والمجتمع نتيجة للدور الذي تؤديه

في المجتمع .

- معايير أخلاقية تحدد وتنظم السلوك المهني للأخصائي الاجتماعي .

- وجود ثقافة خاصة بالمهنة تتكون من قيم ومعايير ورموز وتنظيمات مهنية رسمية وغير رسمية .

وتتحدد ممارسة الخدمة الاجتماعية من خلال التفاعل بين هذه العناصر الخمسة[1] . ومن ثم فإن الخدمة الاجتماعية بالمعنى المشار إليه تتعامل في ممارستها المهنية لإيجاد حلول أو الحد من شدة مشكلات أو تحديد احتياجات فئة عمرية أو وظيفية معينة ، وكيفية إشباعها أو تحليل عوامل ومشكلات أو عوامل دفع حركة التغير والتنمية في المجتمع أو التمهيد لإحداث التغير كمقومات لإحداث التنمية وزيادة معدل أداء الإنسان بصورته كفرد أو كعضو في جماعة محددة أو عضو في مجتمع محدد .

ويتحدد دور الخدمة الاجتماعية في التعامل مع ظاهرة الانحراف في تشخيص السلوك الانحرافي في موقف ما ، لإدارك وتحديد العوامل الدافعة لهذا السلوك في هذا الموقف بالذات .

وللخدمة الاجتماعية إستراتيجيات وتكتيكات تختلف بطبيعتها باختلاف الموقف أو السلوك الانحرافي وعوامله ومسبباته والتي قد ترجع إلى المنحرف ذاته أو أسرته أو الظروف البيئية المحيطة أو اغترابه وعدم توافقه الشخصي والاجتماعي وتركيز الخطط العلاجية باستخدام إستراتيجيات

---

(1) Ernest Green Wood; Athributes of Aprofenion Social Work, Year book, July, 1975, p: 320.

وتكتيكات مناسبة للسلوك والموقف الانحرافي لتقليل أوضاع هذا السلوك الانحرافي وضمان عدم تكراره ، وإدراك المنحرف لآثاره المختلفة ، حسن توافقه نفسياً واجتماعياً أو دعم انتمائه للمجتمع أو التكيف مع الظروف والأوضاع المتغيرة الجديدة ، وتدعيم قدراته لمواجهة الأسباب والعوامل الموافقة لإحداث السلوك المضاد للمجتمع .

وكذلك تمتد جهود الخدمة الاجتماعية إلى بعض أسر المنحرفين وتقديم ألوان الرعاية المساعدة لهم ، أو التدخل المهني لدى أسر المنحرفين إذا كانت عوامل ومسببات الانحراف ترجع إلى الأسرة بالدرجة الأولى ، كذلك العمل على إزالة العوائق التي تحد من قدرات الفرد سواء في ذاته أو الظروف البيئية المحيطة التي تفقده اختيار السلوك السوي من خيارات السلوك في الموقف الواحد، وأيضاً تفقده قدرته على أداء وظائفه ، وتأسيساً على ذلك يمكن تحديد إسهامات الخدمة الاجتماعية في مواجهة هذه الظواهر من خلال الأدوار التالية :

١ - الدور الوقائي للخدمة الاجتماعية :

يمكن النظر إلى الأهداف الاجتماعية للخدمة الاجتماعية من جانبها الوقائي على أنها مجموعة الأنشطة والجهود التي يمارسها الإخصائيون الاجتماعيون بقصد التعرف على المناطق الكامنة والمحتملة لمعوقات الأداء الاجتماعي للأفراد والأسر والجماعات في العمل على منع ظهورها مستقبلاً أو التقليل منها واختزالها إلى أدنى حد ممكن . وعلى ذلك فهناك ثلاث مستويات للوقاية في الخدمة الاجتماعية نوجزها فيما يلي :

- **الوقاية الأولية :** وهي تلك الجهود التي تستهدف منع الظروف

والأوضاع المسببة للمشكلات الاجتماعية من الظهور .

- **الوقاية الثانوية :** وهي الجهود التي تستهدف الحد من خطورة المشكلة بالاكتشاف المبكر لها وعزل تأثيراتها عن الآخرين أو التقليل إلى أدنى حد ممكن من المواقف التي تؤدي إلى الوقوع في المشكلة ، إلى جانب العلاج المبكر لها .

- **الوقاية من الدرجة الثالثة :** وهي تلك الجهود التأهيلية التي تستهدف مساعدة الأفراد الذين وقعوا في المشكلة لعلاج تأثيراتها وتنمية قدرتهم بما يحول دون عودتها وتأثرهم بها مرة أخرى(١) .

هذا ويمثل الاتجاه الوقائي أهمية خاصة بممارسة الخدمة الاجتماعية في شتى مجالات الممارسة المهنية بصفة عامة وفي حال الانحراف الاجتماعي على وجه الخصوص انطلاقاً من الحقيقة المؤكدة بأن الوقاية خير من العلاج .

ويركز هذا الدور بالدرجة الأولى على منع الانحراف من خلال الاهتمام بتحقيق التماسك الأسري ، والتركيز على دور الأم والأب والعلاقة بينهما وبين الأبناء وإدراك الوالدين لخصائص المرحلة العمرية لأبنائهم ، وأسلوب التعامل مع كل مرحلة عمرية ، وتزويد الوالدين بالمعارف المتعلقة بسلوك أبنائهم ، وينعكس ذلك على تقويم الضبط الذاتي لدى الأبناء ، وللخدمة

---

(١) ماهر أبو المعاطي وآخرون : الممارسة العامة للخدمة الاجتماعية في مجال رعاية الشباب ، مركز نور الإيمان للطباعة ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٠٧-٢٠٨ .

الاجتماعية مسؤولياتها في تغيير النظم والمؤسسات المجتمعية ووضع سياسات الرعاية الاجتماعية وتطوير الخدمات الاجتماعية المختلفة التي تهدف وقاية المجتمع من الانحراف وتدعيم انتماء أفراده وتزويدهم بالقيم والمعايير المرغوبة ؛ وذلك لمقابلة احتياجاتهم من الخدمات والبرامج والمشروعات وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الأفراد والتركيز على الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات المعرضة للانحراف ، وتعمل الخدمة الاجتماعية أيضاً على تدعيم المسؤولية الذاتية أو الاجتماعية ، وتحرير طاقات الأفراد والمجتمعات وذلك تدعيماً لقدرتهم الذاتية والاعتماد على النفس منعاً للانحراف واختيار سلوكيات بديلة وقنوات أخرى مقبولة لإشباع حاجاتهم .

بالإضافة إلى ذلك تقوم الخدمة الاجتماعية بتحديد السلوك السوي وغير السوي والشخصية السوية وغير السوية وتحديد عوامل ومسببات الانحراف سواء على المستوى الفردي أو المجتمعي وتركيز جهودها في تكثيف تكتيكاتها المختلفة على أكثر هذه العوامل والمسببات منعاً لانتشارها في المجتمع والوقاية من الانحراف . ويمكن - استناداً على ما سبق - أن نجمل آليات مواجهة ظاهرة الانحراف الاجتماعي في الجوانب الوقائية في العناصر التالية[١] :

---

(١) طلعت مصطفى السروجي ، محمد زكي أبو النصر : ظاهرة الانحراف بين التبرير والمواجهة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٩٢م، ص ٣٢٨-٣٢٩ .

١- برامج وقائية قصيرة المدى وسريعة لأكثر صور وأنماط الانحراف انتشاراً في المجتمع وقاية للأسوياء وغير المنحرفين مع مراعاة الخصوصية الثقافية للمجتمع .

٢- برامج وقائية طويلة المدى لوقاية المجتمع من الانحراف بصوره وأنماطه المتباينة مستقبلاً مع التركيز على فئات الطفولة والشباب ومجالات الأسرة ورعاية الأحداث والعمل على استخدام التكتيكات المهنية التي تسعى إلى غرس قيم المواطنة الصالحة وتعلم الخيارات والسلوك والتفاعل الإيجابي والتماسك الأسري . . . إلخ .

٣- التقويم المستمر للمؤسسات الرعاية الاجتماعية المختلفة في المجتمع للوقوف على معوقاتها وسلبياتها ، ضماناً لزيادة فعالية هذه الرعاية وعائداتها على الأفراد والمجتمع ، على أن تتضمن جهود وبرامج التقويم ما يلي :

أ- تقويم كفاءة وفاعلية المؤسسات التي تقدم الرعاية .

ب- تقويم أساليب تقديم الرعاية .

جـ- تقويم معدل أداء القائمين على تقويم هذه الرعاية .

٤- الاهتمام بوضع سياسات محددة وواضحة للرعاية الاجتماعية للمجتمع بمختلف فئاته .

٥- التركيز على الدور المهني للخدمة الاجتماعية فيما يتعلق بالتوعية والإرشاد والتوجيه للوقاية .

٢- الدور العلاجي للخدمة الاجتماعية :

تعرف الخدمة الاجتماعية العلاجية بأنها الممارسة المهنية التي تعمل مع ولصالح الأفراد والأسر والجماعات الصغيرة لأحداث تغيير اجتماعي ونفسي، إلى جانب حصولهم على الموارد الاجتماعية والاقتصادية المتاحة أو التي يمكن إتاحتها في المجتمع[١] . وتقوم الخدمة الاجتماعية بدورها المهني في مواجهة الانحراف والسلوك المنحرف وذلك بعلاج الفاعل المنحرف أو التخفيف من شدة انحرافه على الأقل .

ويتباين هذا الدور طبقاً لتباين السلوك الانحرافي ذاته، واستعدادات وقدرات الفاعل المنحرف، وظروف وإمكانيات المؤسسة التي يعمل معها الإخصائي الاجتماعي ، كما يتحدد هذا الدور بشكل أساس في[٢] :

أ- دراسة الإخصائي الاجتماعي للفعل والفاعل المنحرف والموقف الانحرافي وتحليل جميع أبعاده، وذلك للتعرف على العوامل والأسباب الأساسية والأخرى الهامشية التي أدت إلى انحراف الفاعل.

ب- تشخيص المظهر والسلوك الانحرافي وتحديد عوامله ودوافعه ومسبباته .

جـ- وضع خطة التدخل المهني المناسبة والتي تتضمن برنامجاً محدداً توجه إستراتيجيات مهنية وتكتيكات وأدوار محددة لعلاج السلوك الانحرافي .

---

(١) ماهر أبو المعاطي وآخرون : مرجع سبق ذكره ، ص : ٢١٣ .

(٢) طلعت السروجي ، محمد زكي أبو النصر : مرجع سبق ذكره ، ص : ٣٣٠ .

وبذا فإن الدور العلاجي للخدمة الاجتماعية يتوقف على التحليل الدقيق والواقعي للعوامل والدوافع التي أدت إلى انحراف الفرد ثم التشخيص الدقيق للموقف الانحرافي، وفي ضوء ذلك يتحدد الدور العلاجي لهذه الدوافع والأسباب .

٣- الدور التتبعي للخدمة الاجتماعية :

وتقوم الخدمة الاجتماعية بهذا الدور بعد دورها العلاجي لتتبع الفرد المنحرف ضماناً لعدم تكرار السلوك والفعل المنحرف لدى الفاعل ، وهي في ذلك تكشف عن مدى فاعلية التدخل والأدوار المهنية أثناء مواجهة انحراف الفرد ، وتقوم من أدوارها وبرامجها المهنية أثناء التعامل مع الفاعل المنحرف واستفادته من هذا البرنامج فقد يحتاج إلى تدخل مهني بأدوار جديدة، ويتضح هذا الدور بصورة جلية في الرعاية اللاحقة للأحداث . وكذا برامج الرعاية الموجهة للمفرج عنهم وأسرهم بعد الإفراج عنهم وما يتضمنه ذلك من برامج رعائية وخدمية تتناول الشخص المنحرف وأسرته واضعة في الاعتبار الوسط الذي يعيش فيه والمجتمع المحلي الذي ينتمي إليه .

وتستهدف الرعاية التتبعية (اللاحقة) للمفرج عنه سواء كان حدثاً أم مسجوناً العمل على تأهيله ومساعدته في التكيف مع الحياة داخل المجتمع ويتضمن ذلك :

- منح المساعدات العينية للحدث أو المنحرف الذي أفرج عنه وذلك في صورة ملابس أو نقود أو مأوى أوعمل أو وثائق وغير ذلك مما يعينه على استقرار حياته في المجتمع .

- توفير المعاونة المعنوية للتغلب على المشكلات الوجدانية للمسجون عند إخلاء سبيله وخلال الفترة اللاحقة لذلك .

وما يتضمنه ذلك من مساعدة على مواجهة وعلاج المشكلات بينه وبين عائلته وكذلك مع جيرانه ، وإحساسه بأن هناك من يساعده ويعمل على أن تكون حياته أكثر استقراراً عائلياً ومع جيرانه ومجتمعه المحلي ، وترغيبه في البحث عن عمل يعيش منه ويبعده عن فعل الجريمة والعودة لها ، ومساعدته في الحصول على ذلك العمل .



الخـــاتمة :

وبعد : فقد حاول الباحث في هذه الدراسة تناول ظاهرة الانحراف الاجتماعي في مجتمعاتنا الإسلامية من حيث إشكالية التفسير لهذه الظاهرة وآليات المواجهة من المنظور الإسلامي وفي إطار مهنة الخدمة الاجتماعية تخصص الباحث .

وتعد هذه الدراسة محاولة متواضعة للإسهام في الحركة العلمية المنظمة صوب التوجيه الإسلامي للعلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الإنسانية التي تشهدها الساحة العلمية في المجتمعات الإسلامية منذ عدة سنوات .

ولقد بدأت الدراسة بالإشارة إلى الاهتمام المتنامي بظاهرة الانحراف الاجتماعي في المجتمعات العربية التي تشهد تغيرات اجتماعية سريعة ومتلاحقة تناولت شتى مجالات الحياة المختلفة كمقدمة عامة للدراسة ، وقامت منهجية البحث على تناول الموضوع من خلال أربعة عناصر رئيسة تشكل جوهر الدراسة ومحاورها الجوهرية ، إذ تناول العنصر الأول مفهوم الانحراف الاجتماعي بعامة ومن زاوية التصور الإسلامي على وجه الخصوص ، مشيراً إلى تعدد وجهات النظر حول تحديد مفهوم الانحراف ، عارضاً لبعض الآراء التي تناولت هذا المفهوم ، ورأينا كيف عرض الباحث لجوانب الاختلاف التي تميز النظرة الإسلامية لدائرة الانحراف عن النظرة الوضعية .

وفي العنصر الثاني تناول البحث الرؤية الإسلامية لظاهرة الانحراف من حيث التشخيص والتفسير ، ورصد العوامل والأسباب الكامنة خلف هذه الظاهرة في ضوء النظرة الإسلامية مستعرضاً بعض الدراسات الأبحاث التي

تناولت الموضوع في بعض المجتمعات العربية وأبرز ما خلصت إليه هذه الدراسات .

وتناول العنصر الثالث أنواع الانحراف الاجتماعي من المنظور الإسلامي، إذ قسم الانحراف ثلاثة أقسام، يتعلق الأول منها بالانحراف في علاقة الإنسان بالله عز وجل ، وأما الثاني فيتعلق بالانحراف في علاقة الإنسان بغيره من بني البشر ، وأخيراً الانحراف في علاقة الإنسان بسائر الكائنات التي تشاركه الوجود والحياة في هذا الكون .

وعرض الباحث في هذا السياق إلى أنواع أخرى للانحراف كالانحرافات الظاهرة والانحرافات الباطنة ، وكذلك الانحرافات التي لها عقوبة دنيوية ، وتلك التي تكون عقوبتها في الآخرة ، وأخيراً كيف أن هناك انحرافات عقوبتها الإلهية إنما تكون في الدنيا والآخرة معاً .

وركز العنصر الرابع والأخير على الخدمة الاجتماعية كمهنة إنسانية وآليات مواجهة ظاهرة الانحراف في ضوء الرؤية الإسلامية ، والأسس والمبادئ التي تستند إليها هذه الآليات والتي من أبرزها : التكامل والشمول، المحور الديني والأخلاقي هو الأساس ، السياسات الوقائية وأهميتها ، وما يمكن أن تسهم به الجهود المبذولة حالياً بصدد التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الإنسانية في تفعيل دور هذه العلوم والمهن في الحد من ظاهرة الانحراف ومواجهة الآثار المترتبة عليها .

وأخيراً عرض الباحث للأدوار الوقائية والعلاجية والتتبعية للخدمة الاجتماعية في التعامل مع ظاهرة الانحراف الاجتماعي .

وبعد . . فالباحث يجد أن من الضروري الإشارة إلى أن هذا الجهد المتواضع إنما يمثل جهد المقل . . سائلاً الله جل جلاله أن يجعل عمله هذا عملاً نافعاً لكل من يطلع عليه .

ويبادر إلى التأكيد أن ما حواه هذا البحث من صواب فهو من الله جل وعلا وبتوفيقه وفضله ، وما فيه من خطأ أو نسيان فهو من نفسه ومن الشيطان، والله نسأل التوفيق والسداد وعليه التكلان.

